الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية



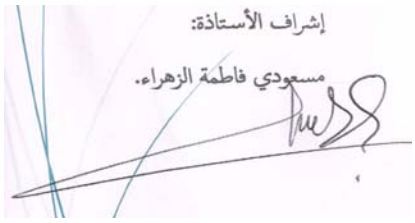
UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب المقارن والعالمي
الموسومة بـ :

الأدب المقارن عند العرب من التكريس إلى التأسيس
الدكتور محمد عباسة نموذجا

من إعداد الطالبة:
خولة صالحي

بإشراف الأستاذة:
فاطمة الزهراء مسعودي



السنة الجامعية: 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم، 7)

الحمد لله الذي منحنا نعمة العقل والعلم

الحمد لله الذي هدانا ووفقنا ويسر لنا أمورنا

الحمد الله الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل

الحمد لله والصلاة والسلام على أعظم خلق الله

سيدنا محمد ﷺ

قال رسول الله ﷺ: "لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ"

أتقدّم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان إلى أستاذتي الحنون ومشرفتي القدوة الدكتورة:

مسعودي فاطمة الزهراء، التي لم تبخل عليّا بالإرشاد وتصويب عملي هذا

إلى أستاذي الفاضل الذي أمدّني بالمساعدة متى احتجتها الدكتور محمد عباسة

حفظه الله ورعاه

إلى من كان السند والعون إلى رفيق الدرب زوجي حفظه الله

إلى كل أساتذتي الكرام كلّ باسمه

إلى كل من ساعدني في إنجاز عملي هذا من قريب أو من بعيد ولو بالدعاء.

خولة

إهداء خاص

إلى أستاذتي الأولى إلى الفريدة من نوعها

إلى التي كان وجهها سراجا وهاجا يضئ عتمة الكون

إلى التي كانت كلماتها شعرا لن ينظمه فحول الشعراء

إلى التي كانت ضحكاتها نغمات عزفتها طيبة قلبها

إلى التي كان صوتها دافئا في ليال طوال باردة

إلى التي لن يكررها الزمن مهما طال

إلى التي لم ولن أرَ مثلها، إلى الروح التي علمتني معنى الفقد

إذ ليس الوجع في أيام الفقد الأولى، بل حين تأتي الأيام السعيدة

فتجد أنّ من يشاركك فرحك بشكل أعمق من فرحك بنفسك قد رحل

إلى النائمة طويلا دون استيقاظ إلى ملاكي الراحل بعيدا

إلى التي رحلت عنّي ولم ترحل منّي إلى الذكرى الخالدة في قلبي

إلى روح أمي الطاهرة رحمها الله وجمعني بها في جنات نعيم.

خولة

إهداء

أهدي عملي هذا إلى:

أبي حفظه الله وأطال عمره ورزقه موفور الصحة والعافية وإلى زوجته

السند الثابت الذي لا يميل، إلى إخوتي

إلى زهرتي الحياة أختاي وأبنائهم

إلى رفيقة الصبا والشباب والدرب سلمى

إلى زوجات الإخوة، وأبنائهم

إلى عائلتي الثانية إلى الذين منحوني الدعم والقوة في وقت الضعف

إلى أهل زوجي وأهلي كل باسمه

إلى صديقاتي، وزملاء دراستي

إلى كل من يعرفني

أهدي عملي هذا لكم.

خولة

مقدمة

مقدمة

مرونة الأدب المقارن وفلسفته مكّنته من أن يكون حقلا معرفيا قائما بذاته، متميّزا عن غيره، له خصائصه التي دفعت به لاحتلال مكانة لا يُستهان بها في الدراسات الأدبيّة. تقوم تلك الدراسات على تناول الأدب خارج حدوده اللغوية والثقافية والمعرفية.

المتتبع للأدب المقارن ونشأته يلاحظ أنّ الإشكالية التي لزمته كانت إشكالية منهج والدليل كثرة المناهج التي حاولت فرض هيمنتها عليه مثل المنهج التاريخي والنقدي والتأويلي والتيبولوجي، كما لا ننس المنهج العربي

حاول الأدب المقارن بكل مدارسه تبيان القيمة الفنيّة والجمالية لكل عمل أدبي. كما حاول تبيان علاقة الأدب بمختلف الفنون، كما ألغى الفوارق التي قسمت الآداب حسب مواقعها الجغرافية. فكيف بدأ الأدب المقارن في الظهور والتطور؟ وكيف ساهمت المناهج المذكورة أعلاه في انتشار الآداب المختلفة وانفتاحها على بعضها؟ وما هو الدور الذي لعبته المدرسة العربية من أجل خلق منهج خاص بها في ظل الصراعات الغربية حول الأدب المقارن؟ وهل حقّقت منهجا عربيا مقارنا؟

حاولت في بحثي هذا أن أعرّف بأهم مدارس الأدب المقارن التي احتلت مكانة واسعة في مجال الدراسات المقارنة العالمية حسب نشوؤها، اتبعت في ذلك المنهج التاريخي، تناولت أيضا إشكاليه الأدب المقارن بين المصطلح والمفهوم، أزمة الأدب المقارن التي خلقها المنهج التاريخي (المدرسة الفرنسية) الذي رفضه المنهج النقدي (المدرسة الأمريكية) وكيف كان لتلك الأزمة الفضل في ظهور مناهج عززت وجود الأدب المقارن كعلم قائم بذاته على الساحة الأدبية، كما قمت بالتطرق للمناهج التي حاولت أن تكون همزة وصل بين المنهجين التاريخي والنقدي والتوفيق بينهما، كل ذلك كان في الفصل الأول.

أمّا الفصل الثاني فقد خصّصته للمدرسة العربية في الأدب المقارن، قمت بتتبع تاريخ الأدب العربي وعلاقته بغيره منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، وفضل الجاحظ في المقارنات الأدبية بين الأمم الأربعة الكبرى والترجمة وإشكالاتها. أيضا تحدثت عن الدارسات

المقارنة الحقيقية عند العرب منذ عصر النهضة.

أمّا الفصل الثالث فقد خصصته للأدب المقارن عند العرب من التطبيق إلى التنظير، كما قمت فيه بدراسة أعمال أهم أعمدة الأدب المقارن في الجزائر وهو الأستاذ الدكتور الفاضل **محمد عبّاسة** حفظه الله ورعاه وأطال في عمره ومنحه وافر الصحة والعافية.

في الأخير أرجو أن يكون عملي هذا في مستوى تطلعاتكم أساتذتي الكرام، فإن أصبت فبتوفيق من الله وإن أخطأت أو سهوت فمن الشيطان، أسأل الله لي ولكم التوفيق والهداية والثبات، وأن يرحمنا ويجمعنا في جنّات النعيم، وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

مدخل

الأدب المقارن المصطلح والمفهوم

الأدب المقارن المصطلح والمفهوم

يسبق أي علم من العلوم قبل ظهوره إرهاصات وعوامل تمهد لميلاده، والأدب المقارن واحد من تلك العلوم التي لمعت حديثا، وسبق ظهوره العديد من الإرهاصات التي ساهمت في نشأته وتطوره.

يمكن اِعتبار الظواهر الأدبية العالمية التي بدأت تتضح صورتها لدى النقاد والأدباء الباحثين، خاصة ظاهرة التأثير والتأثر، من أهم العوامل التي ساهمت في بزوغ نجم الأدب المقارن كونه مجال بحث قائم بذاته.

اعتبر النقاد والباحثين أنّ اقدم ظاهرة في هذا المجال – أي التأثير والتأثر – هي ما حدث بين الأدب اليوناني والروماني، والتي يقول المؤرخون أن بدايتها كانت عام 164 قبل الميلاد(1).

ككل علم جديد واجه الأدب المقارن في بداياته مجموعه من الانتقادات التي طالت مبادئه وأسسه التي سنّتها المدرسة الفرنسية باِعتبارها المؤسس له. لم يتوقف الأمر هنا فحسب بل حتى التسمية لم تلق اِتفاقا، فالمشكل لم يكن مشكل أسس ومبادئ منهج فحسب، بل كان مشكل مصطلح ومفهوم أيضا.

1 – المصطلح:

سبق ظهور الأدب المقارن كمجال بحثي نقدي تقييمي مستقل بذاته، ظهور مصطلح **الأدب المقارن، و**أول من تلفّظ بمصطلح "**الأدب المقارن**" (Littérature comparée) هو الفرنسي "**أبيل فرنسوا فيلمان**" (Abel François Villemain) حيث كان يلقي محاضرة لطلّابه خلال الدورة الصيفية عام 1828م بجامعة السوربون تحدّث فيها عن علاقة الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية، متناولا فيها التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي والأدب

---

1 – كلود بيشوا وأندريه روسو: الأدب المقارن، ترجمة أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، القاهرة 2001م.

الإنجليزي، وتأثير الأدب الفرنسي في الأدب الإيطالي خلال القرن الثامن عشر[1].

في ديباجة المجلد الرابع الذي يضم الجزء الأول من حلقته الدراسية والذي ظهر عام 1838م استخدم فيلمان مصطلح "الأدب المقارن" كان هدفه أن يبيّن في "إطار مقارن" ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية، وما ردته إليها، وقد ترك ألمانيا جانبا لجهله بلغتها، ولأن مدام دي ستال كانت قد سبرت أغوارها[2].

ما لا يمكن إنكاره أنّ "الأدب المقارن" كمصطلح أثار الكثير من النقاشات وأسال الكثير من الحبر، وسعيا لرفع أيّ لبس اقترح "**رونيه ويليك**" (René Wellek) البحث عن معنى المصطلح الدقيق في كل لغة على مستوى معجمي، تاريخي، سيميائي.

ففي اللغة الألمانية مثلا يستعمل **الأدب المقارِن** كمصطلح بصيغة اسم الفاعل أي بكسر الراء، في حين أنّ اللّغتين الفرنسية والإيطالية تستعملان مصطلح الأدب المقارَن بصيغة اسم المفعول أي بفتح الراء، أمّا إنجلترا وأمريكا ففضلتا استعمال صيغة حيادية هي "المقارنة الأدبية"، ما يهمنا ليس ما أختلف فيه من مفاهيم ومصطلحات، بل ما اتفقوا عليه، وهو أنّ: "الأدب المقارن ليس نوعا مميزا من النتاجات الأدبية تقف في مقابل النتاجات الأدبية المنضوية تحت مصطلح (الأدب العربي)، أو (الأدب الإنجليزي) أو (الأدب الصيني)... الخ، أو نقف في مقابل النتاجات الأدبية المنضوية تحت مصطلحات مثل (قصيدة) أو (مسرحية) أو (رواية)... الخ، إنّما الأدب المقارن بفتح الراء وكسرها هو نهج أو منظور معين في دراسة الأدب. وبهذا التوضيح المبدئي ينتقل الأدب المقارن من منطقة الإبداع الأدبي إلى منطقة دراسة الإبداع الأدبي"[3].

1 – كلود بيشوا وأندريه روسو: الأدب المقارن، ص 35.

2 – المرجع نفسه، ص 36.

3 – انظر، أحمد شوقي عبد الجواد رضوان: مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن، دار العلوم العربية، ط1، بيروت 1990م، ص 6-7.

2 – المفهوم:

كثرت مدلولات الأدب المقارن، وتنوعت مفاهيمه من باحث لآخر، وأول من قدّم تعريفا للأدب المقارن في كتابه الموجز وصدرت أول طبعة له عام 1931م بباريس هو" فان تيجم" (Paul Van Tieghem) حيث يقول: "إنّه العلم الذي يدرس على نحو خاص آثار الآداب المختلفة في علاقتها المتبادلة"[1].

انطلاقا من هذا التعريف، نلاحظ أنّ تسمية الأدب المقارن ناقصة في مدلولها وكان في الأول يسمّى "التاريخ المقارن للآداب" أو "تاريخ الأدب المقارن" أو "الآداب الحديثة المقارنة" أو "التاريخ الأدبي المقارن"[2].

أعطى "ماريوس فرنسوا غويار" (Marius François Guyard) تسمية جديدة للأدب المقارن هي: "تاريخ العلاقات الأدبية الدولية".

عرّفه "جون ماري كاريه" (Jean-Marie Carrée) بأنّه: "فرع من تاريخ الأدب، يدرس العلاقات الفكرية الدولية والصلات الواقعية التي توجد بين الأشخاص والأعمال ومصادر الإلهام، بل حتى حياة الكتّاب الذين ينتمون إلى آداب متعدّدة..."[3].

عرف الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب الأدب المقارن هو: "أدب إنساني عالمي يوثق الصلات ويقوي العلاقات بين الآداب القومية المختلفة في اللغة لغرض التأثير والتأثر، والاستفادة من الآداب العالمية، والعودة للأدب القومي لتنقيحه وتطعيمه بالمذاهب والأجناس الأدبية والتيارات الفكرية، ليزدهر ويتطور الأدب القومي ويلحق الآداب العالمية المتطورة بتطور الإنسان"[4].

---

1 – انظر، الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعرفة، ط1، القاهرة 1987م، ص 194.

2 – المرجع نفسه، ص 6.

3 – انظر، المرجع نفسه، ص 195.

4 – نظر، محمد عبد الرحمن شعيب: الأدب المقارن، مطبعة دار التأليف، القاهرة 1968م، ص 14.

أمّا كلود بيشوا فقد عرّف الأدب المقارن بأنّه: "فن منهجي عبر علاقات التشابه، القرابة والتأثير، تقريب الأدب من باقي ميادين التعبير أو المعرفة أو الأحداث والنصوص الأدبية فيما بينها، سواءً كانت متباعدة أم لا في الزمان والفضاء شريطة أن تنتمي إلى لغات متعددة أو ثقافات مختلفة، حتى تتمكن من وصفها وفهمها وتذوقها"[1].

أمّا الأمريكي "هنري ريماك" (Henry Remak) فيعرّف الأدب المقارن بأنه: "دراسة الأدب خلف حدود بلد معين، ودراسة العلاقات بين الآداب من جهة وبين مناطق أخرى من المعرفة من جهة أخرى، كالرسم والنحت والموسيقى والفلسفة والتاريخ والعمارة"[2].

فهنري ريماك هو أول من اقترح مقارنة الأدب بغيره من مجالات التعبير الإنساني، وهو أوسع مجالا مما سبقه لأنه وسع دائرة البحث المقارن.

***

1 – انظر، سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن دراسة منهجية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987م، ص 13.

2 – المرجع نفسه، ص 15.

الفصل الأول

نشأة الأدب المقارن عند الغرب

نشأة الأدب المقارن عند الغرب

تأتي أهمية الأدب كونه يدرس الصلات بين أدبين مختلفين، أو بين أدب وآداب قوميات مختلفة. كما يحاول دراسة التلقي النقدي للأعمال الأدبية هذا من جهة ومن جهة أخرى يبرز جماليات التلقي عند القراء، هذا ما ساهم في نشوء مدارس ومناهج أدبية مقارنة لها أسس ومبادئ تقوم عليها، سنحاول ذكر تلك المدارس حسب ظهورها ومدى تأثيرها.

1 – المدرسة الفرنسية (المنهج التاريخي):

تعتبر المدرسة الفرنسية أوّل اتجاه ظهر في الأدب المقارن منذ أوائل القرن التاسع عشر، ودامت سطوتها كمنهج وحيد في الأدب المقارن إلى منتصف القرن العشرين[1] إلى أن ظهرت اتجاهات مقارنة حاولت نقض مبادئ المدرسة الفرنسية.

تعتمد المدرسة الفرنسية على المنهج التاريخي، وسمّيت بالتاريخية نسبة لذلك، يُعدّ فرنسوا غويار (François Guyard) أهم أعلام المدرسة، وعرّف الأدب المقارن بأنّه: "تاريخ العلاقات الأدبية"[2] أو هو "العلم الذي يؤرخ للعلاقات الخارجية بين الآداب"[3].

المدرسة الفرنسية في دراساتها المقارنة اعتمدت على عملية التأثير والتأثر بين الآداب، وكيفية نشوء الظروف التي ساهمت في خلق ذاك التأثير أيضا. تلك الدراسات دفعت بالمنهج التاريخي إلى تقسيم الآداب إلى قوية مؤثرة وضعيفة متأثرة، أو كما سمّوها آداب موجبة مؤثرة وآداب سالبة متأثرة.

قامت المدرسة الفرنسية بوضع شروط صارمة من أجل البحث الأدبي المقارن التي لا بدّ من توفرها تمثلت في:

---

1 – انظر، أحمد درويش: نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الوطن العربي، دار غريب، القاهرة 2002م، ص 27.

2 – انظر، فرنسوا غويار: الأدب المقارن، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، ط2، بيروت–باريس 1977م، ص 15.

3 – نفسه.

1 – الدراسة تكون بين أدبين مختلفين أو أكثر، ولا تكون إلّا في مجال الأدب.

2 – ضرورة وجود رابط تاريخي يجمع العملين المراد مقارنتهما. أي أن يثبت الباحث وجود صلة بين الأدب المؤثر والأدب المتأثر.

3 – أن تختلف لغة الأدبين اللذين تتم مقارنتهما، وإلّا فيدخل العمل في مجال الموازنة.

4 – أن يكون المؤثر أدبا موجبا، والمتأثر أدبا سالبا، لأنّ المدرسة الفرنسية قامت بتقسيم آداب العالم إلى قسمين هما: موجب قوي، وسالب ضعيف، وربطت ذاك التصنيف بالاستعمار، فالدول القوية المُستعمِرة : دول أوروبا الغربية هي المؤثرة، والدول المُستعمَرة: العربية والإفريقية فهي الضعيفة المتأثرة لأنّها لا تمتلك ما تضيفه لآداب قومية أخرى[1].

من الواضح للدارسين والباحثين في مجال الأدب المقارن، والمتعمقين في أسس وشروط المدرسة التاريخية طغيان أنانية الأيديولوجيا الفرنسية عليها، لأنّ التقسيم الذي وضعته لا يخدم غيرها. كما أنّها حطّت من قيمة آداب الشعوب الأخرى كالآداب الإفريقية وآداب الشرق بصفه عامة (عربية وآسيوية)، باعتبارها آدابا ضعيفة سالبة لا ترتقي لمستوى الآداب الأوروبية والفرنسية على وجه الخصوص.

ما يعاب على هذا المنهج أنّه حاول فرض فكرة "المركزية الأوروبية (Eurocentrismes) وهي نزعة أيديولوجيا تخدم مصالح أوروبية، الهدف منها الهيمنة الثقافية التي كانت أحد أهم المساعي الاستعمارية[2]، كما حاولت المدرسة الفرنسية الإعلاء من شان الآداب الفرنسية وجعلها محورا تدور حوله كل الآداب الأخرى بما فيها الأوروبية.

هذا الطرح الفكري غير العادل والتقسيم العشوائي للآداب هو ما جعل المنهج التاريخي يتعرض للكثير من الانتقادات وهناك من رفضه كـ: "رينيه إيتامبل" (René

1 – انظر، محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ط3، 2003م، ص 25.

2 – انظر، عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق 1999م، ص 31 وما بعدها.

Etiemble) الذي رفض أسس المدرسة الفرنسية التقليدية.

وهو نفس السبب الذي دفع جيلا جديدا من النّقاد المقارنين الفرنسيين إلى الانفصال عن الأفكار التقليدية للمدرسة والأسس التي قامت عليها أمثال: بيشوا وبرونيل.

رواد المدرسة الفرنسية:

1 – آبل فيلمان (Abel François Villemain): خلال صيف عام 1828م القى آبل فيلمان محاضرة في الأدب الفرنسي، درّس فيها تأثير فرنسا وإنجلترا المتبادل في بعضهما، كما درّس تأثير الأدب الفرنسي على الأدب الإيطالي حيث في تمهيد محاضرته استخدم مصطلح "الأدب المقارن" وأعلن في محاضرته تلك أنّه يريد إظهار: "ما أخذته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية وما أضافته لها من خلال لوحة مقارنة"[1].

2 – بول فان تيجم (Paul van Tieghem): نبّه هذا المقارن الفرنسي المقارنين إلى إشكالية مهمة عند دراسة الآداب العالمية وهي أنّ شهرة بعض الأدباء خارج أوطانهم لا يمكن أن يعتبر معيارا لعالميتهم، فهناك من الأدباء. من حقق نجاحا عالميا مؤقتا وهذا لا يعد ضمن الأدباء العالميين. كما هناك آداب ذات إشعاع محدود لم تلق العناية اللازمة رغم تطورها الفني والفكري، لكن لأسباب أدبية تم حجب الاهتمام عنها، وعدم تقدير إنجازاتها[2].

كما لم يفت "تيجم" التنبيه إلى الدور الذي يلعبه تعلم اللغات الأجنبية، وتحول بعضها إلى لغات عالمية ساهم في عالمية الأدب بدون وسيط وبوسيط أيضا من خلال الترجمة.

ما غاب عن "تيجم" أنه لم يفصل في مسألة "الإشعاع المحدود" وسبب قلة إشعاع بعض الآداب هل لأنها لغات محدودة؟ أم لأنّ شعوبها تتعرض للهيمنة، والدول المهيمنة تحجب إشعاعها؟[3].

1 – انظر، بيير برونيل وكلود بيشوا وأندريه ميشال روسو: ما الأدب المقارن، ترجمة غسان السيد، دار علاء الدين، ط1، دمشق 1997م، ص 18.

2 – انظر، عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، ص 75.

3 – المرجع نفسه، ص 86 بالتصرف.

3 – رينيه إيتامبل (René Etiemble)**:** هذا الدارس والناقد والدارس كان من الذين رفضوا فكرة المركزية الأوربية حثّ إيتامبل الباحثين على تعلّم اللغات الشرقية والاطلاع على آدابهم أيّد فكرة الأدب العالمي التي جاء بها الألماني "غوته" (Goethe)، طالب بإجراء مقارنات أدبية عالمية ودراسة التأثير والتأثر دون الأخذ بالصلات التاريخية.

ودعا إيتامبل بضرورة تحرر الأدب المقارن من المركزية الأوروبية، وأن لا تنطلق الدراسات الأدبية المقارنة من المركزية الأوروبية بل من الأدب العالمي، ففتح بذلك آفاقا رحبة للآداب المقارنة[1].

4 – ماريوس فرنسوا جويار (Marius–François Guyard)**:** اهتم جويار بدراسة صورة الأجنبي وتجلّياته ودافع عنها والتي سبقه لها جان ماري كاريه، نشرها جويار في كتابه الصغير ضمن سلسلة كوسيج، ماذا أعرف؟ عام 1951م صدر كتابه "الأدب المقارن"، أصل الكتاب مجموعة من المحاضرات ألقيت في الجامعة بعد أن اصبح الأدب المقارن يدرّس كفرع، هذا الكتاب خير من مثّل فكر فرنسا في الأدب المقارن التي تقوم على إثبات العلاقات التاريخية بين الآداب[2].

نشير إلى أنه هناك العديد من رواد ومنظري هذا المنهج المقارن لم نذكرهم واكتفينا بذكر من تتردد أسمائهم كثيرا في مختلف الدراسات والمحاضرات.

2 – المنهج التاريخي وأزمة الأدب المقارن:

واجه الأدب المقارن منذ نشوؤه تحولا في المسار الذي وجد من أجله، بسبب محاولة كل طرف إيجاد طريق خاص به يدّرِس به مواد الأدب المقارن، تعدّدت طروحات هذا المنهج، ولم تكد تسلم منها مسألة من مسائله، واصطلح على تسمية هذه الاختلافات أزمة

---

1 – عبده عبود: المرجع السابق، ص 84 بتصرف.

2 – انظر، محمد سيد أحمد متولي: اللغويات والثقافات المقارنة، مجلة كلّية الآداب، جامعة الفيوم، مصر، مجلد 13، العدد 1، يناير 2021.

الأدب المقارن أو معضلة الأدب المقارن[1].

فكيف نشأت هذه الأزمة، وماهي أبعادها؟ وكيف حاولوا الخروج منها؟ لم يكن الأدب المقارن وقضاياه الأدبية التي تناولها هي السبب الأساسي في خلق تلك الأزمة، بل كان العامل السياسي الأيديولوجي المتسبب فيها. سبقت الظواهر المتعلقة بمفاهيم الأدب المقارن، كالتأثير والتأثر وقبل نشوء الأدب المقارن كعلم أو نظرية أو ميدان مستقل له أسس ومعايير في إصدار الأحكام على آداب الشعوب.

كان مسار التأثير في إطار سعي الأمم وغيرتها على أدبها القومي، نحو الارتقاء به من خلال محاكاة الآداب القديمة التي ينظر إليها بعلو الشأن في مضمار الأدب، لذلك لم يكن العامل السياسي في تلك الفترة حاجزا يمنع من الاستفادة من آداب الأمم الأخرى[2]. ما حصل لاحقا أنّ كلّ أمة – بعد نشوء الأدب المقارن – سعت إلى اختلافها عن غيرها. كما لا يفوتنا أن ننوّه أنّ القرن التاسع عشر كان محتدم الصراع على جميع الأصعدة، وكانت الأقطاب المسيطرة وقتها تحاول فرض هيمنتها، مما خلق الازدراء اتجاه الأمم الضعيفة. ذاك الصراع يحسب عليهم لا لهم لأنه يكشف زيف حضارتهم التي من الممكن أن تكون أمة ما قد ادعتها لنفسها دون غيرها ولم يكن العامل السياسي هو الوحيد في تفعيل الأزمة وتشعبها، بل يضاف إلى ذلك الأسس التي وضعها الفرنسيون للتعامل مع الدراسة المقارنة للأدب، حيث أججت الغيرة في نفوس الأمم الأخرى، فضلا عن تأجيج الرفض في صفوف الفرنسيين أنفسهم[3].

ظهرت أزمة الأدب المقارن كردة فعل ضد القومية الضيقة التي همّشت وميزت بين

---

1 – انظر، عبد الكريم عبد القادر عقيلان: دراسات أدبية ونقدية، دار جليس الزمان، عمّان، الأردن 2019م.

2 – المرجع نفسه

3 – انظر، يوسف بكّار: الأدب المقارن، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، عمّان، الأردن 2004م، ص 16.

الكثير من بحوث القرن التاسع عشر، تلك الأزمة أثرت في فرنسا على المستوى الداخلي، حيث أدّت إلى نشوء فكرة الحقائق المتعدّدة بدل الحقيقة الواحدة التي فرضتها السلطة نتيجة لذلك تبلور تيارين في فرنسا هما[1].

1 – التيار القومي: دعا إلى الاقتصار على الآداب الفرنسية، ورفض فكرة التأثيرات الأجنبية، ورفض فكرة التأثيرات الأجنبية. برز هذا الاهتمام في المسرح الفرنسي الذي حاول الابتعاد عن التأثيرات اليونانية، وهم بذلك يرفضون دعوة الأدب المقارن في مستوى من مستوياته الداعية إلى تأكيد وحدة العقل البشري والقاسم الإنساني المشترك من خلال بيان التأثير والتأثر بين الآداب[2].

2 – التيار العالمي: يقر هذا التيار أن الآداب الفرنسية نشأت عن طريق تأثرها بغيرها من الآداب يلاحظ الدارسون أنّ المنهج التاريخي كان يعاني نقصا في أسسه حيث خضع للنزعة التاريخية وأهمل أوجه الشبه بين آداب قوميات لم يجمعها تاريخ، كما أنّ هذا المنهج افتقر إلى الهدف العالمي للمقارنة الأدبية وهي تبيان جماليات الآداب المختلفة تلك النقائص في المنهج زعزعت الاستقرار الداخلي للاتجاه الفرنسي، فانقسم النقاد المقارنين داخل المنهج التاريخي، تلك الانقسامات امتدت لخارج الحدود الفرنسية، تبنتها أمريكا وبلورت منهجا خاصا في الدراسات المقارنة بني على مبدأ احترام الآخر، وحرية التجربة الإبداعية[3].

ليحصر الصراع أخيرا داخل حلقتين لا ثالث لهما، الحلقة الأولى فرنسية، وأمّا الثانية فأمريكية رافضة لكل أسس المدرسة الفرنسية قامت بنقد مبادئها في أشهر محاضرة شهدها تاريخ الأدب المقارن كانت بعنوان "أزمة الأدب المقارن" للنقاد الأمريكي "رينيه ويليك" حيث نسف كل جهود المنهج التاريخي ودعا إلى منهج جديد يخدم كل الأطراف. كل من جاء بعد هذين القطبين حاول أن يوفق بينهما أو يدمجهما ليأسس منهجه الخاص.

---

1 – عبد الكريم عبد القادر عقيلان: المرجع السابق.

2 – انظر يوسف بكار: المرجع السابق، ص 8.

3 – المرجع نفسه، ص 16.

من الواضح مما سبق أنّ هدف الأدب المقارن في توحيد النظرة إلى الآداب الإنسانية غير ممكن، بسبب أنّ هذه النظرة غير متفق عليها من الأساس، وقد أجمل الدكتور حسام الخطيب ما أسماه معضلة الأدب المقارن في ثلاثة محاور هي:

1 – معضلة البحث عن منطق خاص للأدب يقول: "البحث عن نسق معرفي بحثي خاص، من شأنه أن يميّز الأدب المقارن عن غيره من فروع المعرفة الأدبية، وبالتالي يعطي معنى لتسميته اختصاصا أو فرعا معرفيا"[1].

2 – حدود الأدب المقارن أو كما أسمها الخطيب بـ: معضلة تحديد المنطقة النوعية للأدب المقارن، أي أين يبدأ وأين ينتهي[2]، وهذا يدخل في مسألة تحديد مناهج البحث التي فشلت في تحديد موضوع الدراسة المقارنة.

3 – تمثلت الأزمة في جانب هدف الأدب المقارن أنّ "معضلة تحديد الوظيفة النوعية للأدب المقارن في نطاق المعرفة الأدبية، بحيث يكون له مسوغ داخلي خاص"[3].

وبدت ملامح الأزمة واضحة حين غيّر مسار الدراسات المقارنة عن هدفها الأساسي والمتمثل في الربط بين بين الأدب والشعوب، وجعله يخدم مصالح خاصة الغاية منها إثبات أكبر عدد ممكن من التأثيرات في شعوب أخرى.

3 – المدارس الحديثة ومناهجها:

أ – المدرسة الأمريكية (المنهج النقدي):

احتدمت الأزمة بين رواد الأدب المقارن في فرنسا وبين رواده في أمريكا، فظهر من عارض المدرسة الفرنسية من داخل فرنسا نفسها ومن خارجها. كما حاول رواد المدرسة الأمريكية وضع مفهوم جديد للأدب المقارن.

---

1 – انظر، حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، دار الفكر، ط2، دمشق 1999م، ص 19.

2 – المرجع نفسه، ص 20.

3 – نفسه.

لم تول المدرسة الأمريكية اهتماما بالأدب المقارن إلا في خمسينيات القرن الماضي بالضبط عام 1958م، حين ألقى الناقد الأمريكي "رينيه ويليك" (René Wellek) محاضرته التاريخية بعنوان: أزمة الأدب المقارن في المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن، الذي أنعقد في جامعة "تشابل هيل" الواقعة في ولاية كرولينا الشمالية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث قام بنقد المدرسة الفرنسية ومنهجها، محاولا نسف كل أسسها ومرتكزاته[1].

محاضرة ويليك كان لها وقع كبير في الساحة النقدية الأدبية، وكانت تلك المحاضرة هي بداية توجهات المدرسة الأمريكية. ليأتي بعد ذلك أهم منظريها "هنري ريماك" (Henry Remak) الذي أسس المرتكزات والمبادئ التي قامت عليها المدرسة النقدية حيث أعطى مفهوما جديدا للأدب المقارن، ويختلف مفهومه اختلافا كلّيا عن نظيره الفرنسي.

ويمكن تلخيص أهم ما جاءت به المدرسة الأمريكية فيما يلي:

– الدعوة إلى جعل الدراسات المقارنة تهتم بالعلاقات القائمة بين الآداب من ناحية، وبين مجالات المعرفة الأخرى كالفنون، والفلسفة، والتاريخ، والعمارة... الخ[2].

– الدعوة إلى تطبيق منهج نقدي في الأدب المقارن والتخلي عن الدراسات ذات الصلات التاريخية القائمة على علاقة التأثير والتأثر.

– دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها دون مراعاة للحواجز اللسانية والسياسية.

كانت ثورة المدرسة النقدية على المدرسة التاريخية ثورة مشروعة، من وجهة نظري، لأن الكثير من مبادئ وأسس المنهج التاريخي لم تكن تستند إلى المنطق العلمي بل بنيت أغلبها على أساس أيديولوجي قومي.

من أهم ما عابت به المدرسة الأمريكية الفرنسية ما يلي:

1 – انظر، عبده عبود: المرجع السابق، ص 47.

2 – انظر، حيدر محمود غيلان: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية، مجلة دراسات يمنية، العدد 80، مركز دراسات البحوث اليمني، مارس 2006، ص 23.

- تقسيم المنهج التاريخي للآداب لموجبة قوية مؤثرة، وسالبة ضعيفة متأثرة.
- اعتبار كل الآداب خارج الحدود الأوروبية منبثقة عن الأدب الفرنسي.
- عدم تحديد المنهج التاريخي لموضوع الأدب المقارن.
- تفضيل القومية الأوروبية عامة والفرنسية خاصة على العمل الأدبي المقارن.
- التعمّق في عملية التأثير والتأثر.

قامت المدرسة الأمريكية بحصر الصلات التاريخية والتخلي عنها في دراساتها المقارنة، وبالتالي أسقطت أهم أسس مشروعية البحث المقارن[1].

المنهج الأمريكي في الأدب المقارن:

أُعتبرت سنة 1958م الميلاد الحقيقي والفعلي للمدرسة الأمريكية، لكن قبل ذلك كانت هنالك دراسات أمريكية مقارنة في عشرينيات القرن العشرين، ارتبط الأدب المقارن بالأدب العام، إلى أن استقل عنه وتفرّد وحده.

في عام 1942م أنشأ "آرثر كريستي" (Arthur E. Christy) طبقا لتوجيهات المجلس القومي لأساتذة اللغة الإنجليزية لجنة للأدب المقارن، تعمل على تشجيع ما أسمته بالأدب العام وخاصة الأدب المقارن، وإدراجه ضمن البرامج المقررة على طلبة المدارس والكلّيات.

في عام 1949م ظهرت أول مجلة أمريكية تُعنى بالأدب المقارن (Comparative Littérature) صدرت المجلة عن جامعة أوريغون بالتعاون مع قسم الأدب المقارن في الرابطة الأمريكية للغات الحديثة[2].

أمّا عام 1950م ظهرت أول قائمة للمراجع اللازمة للأدب المقارن نشرتها جامعة "شمال كرولينا"، والتي تولت نشر كتاب سنوي خاص بالأدب المقارن والعام حتى

---

1 – ينظر، سعيد الوكيل: الأدب المقارن مدخل نظري ونماذج تطبيقية، محاضرات كلّية الأدب، جامعة القاهرة 2000م، ص 23.

2 – ينظر، حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ص 110.

عام 1960م، ثم تولت جامعة إنديانا الأمريكية النشر[1].

في عام 1952م ظهر المجلد الأول من حوليات الأدب العام والأدب المقارن. وفي 1954م ظهر كتاب بعنوان "موجز عام للأدب المقارن"، وتشكلت في نفس السنة الرابطة الأمريكية الدولية للأدب المقارن.

في عام 1961م ظهرت مقالات متخصصة في الأدب المقارن جمعت في كتاب عنون بـ: الأدب العام منهجه وآفاقه، نشرت مقالة ويليك التأسيسية[2].

ما يلاحظ على المنهج النقدي أن الاتجاه التطبيقي كان الغالب على المؤلفات الأمريكية خاصة فترة السبعينات، ومع بداية الثمانينات بدأت المدرسة الأمريكية تتحرر من الآداب الأوربية واتجهت نحو دراسة آداب إفريقيا وآسيا...

تميّز الدرس المقارن الأمريكي بوفرة الدراسات والمنشورات السنوية الصادرة عن الجامعات وكذا المؤلفات خاصة بعد عام 1958م، أرست تلك الأعمال المنهج النقدي ودفعته للانطلاق برؤية جديدة.

أهم رواد المنهج النقدي:

يعدّ "رينيه ويليك" واحدا من أهم مؤسسي المدرسة الأمريكية، تشيكي الأصل هاجر لأمريكا من أجل استكمال دراسته حاز على دكتوراه في الفلسفة واشتغل أستاذا في الأدب المقارن أهم مؤلفاته: "مفهوم النقد" و"تاريخ النقد الحديث" صدر في أربعة أجزاء[3].

أما "أوستن وارين" (Austin Warren) فهو من مواليد الولايات المتحدة الأمريكية وقد اشتغل أستاذا للغة الإنجليزية.

بالإضافة إلى "هنري ريماك" (Henry Remak) الذي هو أبرز منظري المدرسة

1 – حسام الخطيب: المرجع السابق، ص 112 بتصرف.

2 – نفسه.

3 – رينيه ويليك وأوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، بيروت 1987م، ص 49.

الأمريكية وواضع أسسها ومبادئها، وهو أول من قارن بين الأدب ومختلف المجالات المعرفية.

ب – المدرسة السلافية (المنهج التيبولوجي):

عرفت المدرسة السلافية تسميات عديدة فقد سميت: السوفياتية والاشتراكية، السلافية، النمطية، الطوبولوجية أو التيبولوجيا (Typologique)، كل تلك التسميات السابقة أطلقت على المدرسة وما شاع منها السلافية أو التيبولوجيا.

سميت بالسلافية نسبة إلى منظّريها السلافيين. أمّا الاشتراكية فنسبة إلى الدول التي تبنت النظام الاشتراكي (السياسي والاقتصادي) الذي كان سائدا في تلك البلدان. أمّا الماركسية فنسبة إلى فكر كارل ماركس الذي شاع وقتها.

وأمّا السوفياتية فهي من قبيل إطلاق الجزء على الكل، لاسيما أنّ منظري الاتحاد السوفياتي كانوا يؤدّون دورا قياديا في مختلف مجالات الحياة في الدول الاشتراكية[1].

وأمّا النمطية أو التيبولوجية فجاءت من طبيعة الدرس المقارن الذي تبنّاه أصحاب هذا المنهج، الذي اهتموا بالمتشابه بين الآداب، والتيبولوجيا كمصطلح أو ككلمة فتعني حسب اللغة اليونانية النمط أو الضرب أو الختم، هذا بالنسبة للمقطع الأول "تبوس" أمّا المقطع الثاني "لوجيا" فتعني المعرفة أو التفسير، لتصبح التيبولوجيا في الأدب المقارن تعني تفسير الأنماط المتشابهة[2].

المدرسة السلافية لم تكن مدرسة بكل معاني الخصوصية والانسجام بل يوجد إنتاج يخضع لخلفيات فكرية وسيسيولوجيا معينة. ما قيل في شأن المدرستين الفرنسية والأمريكية يمكن أن يثار من جديد كإسهام للمدرسة السلافية في تطوير الدرس الأدبي المقارن، لا على

1 – انظر، مقال المدرسة السلافية والأدب المقارن، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع433، ماي 2007م، ص 6-13.

2 – M. Khrapchenko and Y. Boyarsky: Writer's Creative Individuality and the Development of Literature, Progress publishers, Moscow 1997, pp. 243-280.

المستوى المنهجي فقط بل على مستوى المادة واللون المحلي والبنيات الأدبية التي يخضع لها الأدب السلافي بكل محفزاته الاشتراكية واختياراته الأيديولوجية[1].

كانت المدرسة السلافية في نظر بعض الدارسين مجرد صفحة في تاريخ الأدب المقارن أكثر من كونها تجربة دراسية في دول أوروبا الرقية وروسيا. غير أنّ ذلك ليس صحيحا تماما، فقد احتلت المدرسة مكانة مهمة لدى القارئ لأنها حاولت تعديل الإسراف الأوروبي والأمريكي في التمركز حول الذات الغربية التي طالما عانى منها الأدب المقارن، فقد عنيت بآداب الأقليات المهيمنة[2].

المدرسة السلافية والدرس الأدبي المقارن:

اعتمدت المدرسة السلافية للأدب المقارن على الفلسفة الماركسية في دراساتها المتشابهة بين الآداب القومية المختلفة فترجعها إلى التشابه القائم بين البنى التحتية المنتجة للآداب فالتشابه في تطور المجتمعات ناتج عن تشابه في البنى الاقتصادية الذي يؤدي حتما – في عرف منظّري هذا المنهج – إلى تشابه في مكونات البنى الفوقية والتي يشكل الأدب أهمها، فأي عمل أدبي متشابه – حسب المنهج التيبولوجي – يلحظه الدارس المقارن بين عملين أدبيين من قوميتين مختلفتين يمكن ردّه إلى التشابه بين بنيتي المجتمعين اللذين انتجا هذين العملين، وليس من الضروري أن تكون هناك صلة مباشرة وغير مباشرة لأنّ البنى التحتية المتشابهة تنتج بالضرورة بنى فوقية متشابهة، وذاك هو سر التشابه بين الأعمال الأدبية من قوميات مختلفة. وبالتالي فالمدرسة السلافية تعتمد في تفسيرها على الفهم المادي التاريخي الإنساني وقوانين تطوره[3].

يشرح "يشرح جيرمونسكي" (Victor Germonsky) – أبرز منظري المدرسة

1 – انظر، سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص 127.

2 – مقال المدرسة السلافية والأدب المقارن، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ع433، ماي 2007م، ص 6-13.

3 – نفسه.

السلافية –، قانون التشابه والبنى التحتية في قوله: "تعدّ وحدة عملية التطور الاجتماعي – التاريخي للبشرية – المقدمة الأساسية لعلم الأدب المقارن، وتشترط هذه الوحدة بدورها وحدة التطور الأدبي بوصفه إحدى البنى الأيديولوجية الفوقية. ومثلما تشف العلاقات الاجتماعية والسياسية المشروطة بحالة قوى الإنتاج وعلاقته عن خصائص متماثلة نمطيا (Typologie) في أقصى أوروبا الغربية وفي آسيا الوسطى في عصر الإقطاع مثلا، ينبغي أن يشف الفن – بوصفه معرفة للواقع في صور – عن أوجه تشابه مهمة عند مختلف الشعوب في مراحل تطورها المتماثلة، وليس مصادفة أن تظهر تيارات أيديولوجية ة اتجاهات أدبية مثل: الرينيسانس والباروك والكلاسيكية والنهضوية البرجوازية والرومانسية والواقعية الانتقادية والطبيعية والرمزية... في البلاد الأوروبية كأطوار متعاقبة ضمن وحدة عملية التطور التاريخي والتاريخي الأدبي، دون أن ينفي قانون التعاقب هذا لوجود خصائص محليّة معينة تميّز التطور التاريخي القومي لكل بلد على حدة وذلك على أرضية الحركة التاريخية الشامل"(1).

باختصار ألغوا قانون التأثير والتأثر الذي سنته المدرسة الفرنسية الذي هو في نظرها المتحكم الأساسي في التشابه بين الآداب المختلفة.

حلّ محل التأثير والتأثر في المدرسة السلافية التطورات الحاصلة في المجتمع، وربطوا تلك التطورات بالنتاج الأدبي وتطوره، ووضّح جريرمونسكي الشرط الاجتماعي الذي يحكم التأثير الخارجي. ذاك التأثير – في نظره – لا يكون مصادفة فالأدب مثله مثل غيره من الأشكال الأيديولوجية الأخرى يتشكل قبل كل شيء على أساس تجربة اجتماعية تكون مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي وآداه لإعادة البناء. فعملية التأثير مرتبطة بالقوانين الطبيعية لتطور مجتمع معين وأدب معين على اعتبار الأدب أيديولوجيا اجتماعية تتولد في إطار واقع محدد تاريخيا، فالتأثير مربوط بالتاريخ، ومشروط بالمجتمع، وإمكانيته تكمن في مدى

1 – انظر فيكتور ميكسيموفيتش جيرمونسكي: علم الأدب المقارن شرق وغرب، ترجمة غسان مرتضى، ط1، حمص 2004م، ص 14.

تقبل البلد المستقبل (المتأثر) به[1].

لخّص جيرمونسكي مبادئ المدرسة السلافية المقارنة من خلال عملية التأثير في:

1 – التشابه بين الظواهر الأدبية التي نشأت في قوميات مختلفة في وقت واحد، يقوم على التّشابه الاجتماعي والتاريخي في مرحلة واحدة من مراحل التطور، أو يقوم على التشابه في الواقع الاجتماعي وفي أيديولوجية طبقة اجتماعية في حقبة تاريخية معينة. هذه العلاقة تشترط وجود تأثير مباشر، لأنّ تشابه التوجيهات في الآداب القومية هو بحد ذاته شرط لقيام التأثيرات الأدبية.

2 – التأثير يخضع للقوانين المرتبطة بالمجتمع، تلك القوانين هي شرط التطور الطبيعي لأدب المجتمع المُتأثِّر وذلك حسب الحاجة التي يريدها المجتمع أيديولوجياً.

3 – أيُّ تأثير أدبي مرتبط بتحويل اجتماعي للأنموذج المؤثر، ومسألة الاختلاف وشروطها الاجتماعية لا تقل أهمية عن مسألة التشابه بالنسبة لمؤرخ الأدب الذي يدرس حالة ملموسة من حالات التأثير الأدبي[2].

أهم رواد المنهج التيبولوجي (المدرسة السلافية):

– يعتبر فكتور جيرمونسكي (Victor Germonsky) من أهم مؤسسي المدرسة، كان ناقدا أدبيا وفقيه لغة وعالم لهجات وهذا ما ساعده في وضع أسس لمنهجه.

– أدريان مارينو (Adrian Marino) من منظري المنهج ناقد ومؤرخ روماني.

– إضافة إلى العديد من الأدباء والمنظرين والنقاد الذين أسهموا في بناء الدرس الأدبي المقارن السلافي نذكر على سبيل المثال لا الحصر نذكر: فيسلوفسكي، نيوبا كويفا، نهينا غيورغي، روبرت فايمان...

ما يعاب على المنهج السلافي أنّه بحث في أوجه الشبه بين البنى التحتية للمجتمعات، أي الظروف الاجتماعية والاقتصادية، الذي تسبب في إهمال العمل الأدبي

---

1 – المرجع نفسه، ص 15 بتصرف.

2 – انظر، فيكتور جيرمونسكي: المرجع السابق، ص 264-265.

والحط من قيمة المبدع. أيضا بحث في الوقائع الاجتماعية بين بلدين أو أكثر مما جرّد العمل الأدبي من مميزاته الفنية وقضاياه الجمالية. بعبارة أخرى قلّل المنهج التيبولوجي من استقلالية العمل الفني واهتمّ بالعناصر الخارجية[1].

ج – المدرسة الألمانية (المنهج التأويلي):

ظهرت مدارس الأدب المقارن تِباعا، وإن صحّ القول فكل مدرسة لاحقة كانت بمثابة ردة فعل إمّا عن التي سبقتها، أو عن كل ما سبقها، وكل ما جاء بعد المنهج التاريخي كان محاولات لإتمام ما تجاهلته المدرسة الفرنسية في دراستها.

ظهرت المدرسة الأمريكية التي ركزت على الظروف النصوص وجماليتها، والمدرسة السلافية التي ركزت على الظروف الاجتماعية، لتليهم المدرسة الألمانية أو التأويلية التي اهتمت بالملتقى وجمالية التلقي. التأويل مصطلح واسع، يحاول أن يستوعب النصوص دراسة وتحليلا، والمنهج التأويلي اهتم بدراسة المعنى وتفسيره.

والتأويل في معاجم اللغة العربية الحديثة كلّها تعني الوضوح والتفسير والبيان، أي تفسير ما في النص من غموض بحيث يبدوا واضحا جليا ذا دلالة يدركها الناس، ويعني أيضا إعطاء معنى أو دلالة لحدث أو قول لا تبدو فيه هذه الدلالة لأول وهلة[2].

أمّا في الاصطلاح فالتأويل متعدد المفاهيم منها: التأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع[3]. وعرّفه ابن رشد بأنّه: "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخلّ ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو

---

1 – انظر، خليل إبراهيم: في النقد والنقد الألسني، منشورات أمانة عمّان الكبرى، ط1، 2002م، ص 57-58.

2 – أنظر العيد جلولي وعبد القادر خليف: القراءة والتأويل من منظور اصطلاحي، مجلة الأثر الدولية، ع28، جوان2017م، ص 75.

3 – انظر، جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، القاهرة 1974 ج2، ص 173.

بسببه، أو لاحقه أو مقارنة أو غير ذلك من الأشياء التي عُدّدت في تعريف أصناف الكلام المجازي"[1].

أمّا حديثا، فقد اتسع معنى التأويل، فصار يتناول إلى جانب النصوص الدينية عمليات التأويل المعروفة في العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم الجمال والنقد الأدبي... فتشكل بناء معقد من العلاقات التي تتضمن الذات والموضوع والسياق والعلامات[2].

المنهج التأويلي اهتم بالحلقة الثالثة في العمل الأدبي وهو القارئ أو المتلقي، ركّز هذا الاتجاه على دور القارئ في فهم النصوص الأجنبية. وكيف اختلف تلقي هذه النصوص خارج أدبها القومي باختلاف ثقافة المتلقين[3].

ظهرت نظرية التلقي في ألمانيا أواسط ستينات القرن الماضي ضمن إطار مدرسة كونستانس وبرلين الشرقية قبل ظهور التفكيكية ومدارس ما بعد الحداثة على يدي كل من "فولغانغ إيزر" (Wolfgang Iser) و"هانز روبر ياوس" (Hans Robert Jaus)[4].

المنهج التأويلي كان ردّة فعل على المناهج التي ركزت على المرجع الخارجي كالتاريخي والنفسي والاجتماعي، والذين اهتموا بالنص والكاتب وحياته وظروفه التاريخية والاجتماعية. كما هاجمت المدرسة الألمانية المناهج البنيوية التي اهتمت بالنص وأهملت ما دون ذلك.

انقسمت المدرسة الألمانية إلى اتجاهين مختلفين:

- الاتجاه الأول: تمثّل في جمالية التلقي تزعّمه ياوس (Jaus).

---

1 – انظر، ابن رشد: فصل المقال، تحقيق حمد عمادة، دار المعارف، ط1، مصر 1972م، ص 32.

2 – انظر، نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م، ص 176.

3 – انظر، سيد فضل الله وحسين كياني: نظرية التلقي في ضوء الأدب المقارن، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، ع18، 2011م، ص 21.

4 – انظر، هانز ياوس: جمالية التلقي، ترجمة رشيد بنجدو، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2003م، ص 107.

اهتم هذا الاتجاه بطرق تلقي النصوص في زمن محدد، ويربط التلقي الجديد بما سبقه من تلقّيات مختلفة مستعينا بالعوامل التاريخية والاجتماعية التي أثرت فيه، فتتغير الأعمال الأدبية تبعا لتغير "الآفاق التاريخية التي تستقبل فيها"[1].

– الاتجاه الثاني: تمثل في جمالية التأثير تزعمه إيزر (Iser).

اهتم بدراسة التأثير المتبادل بين النص والقارئ. يرفض النظر إلى العمل الأدبي على أنّه نص مكتمل ومنغلق على ذاته، كما لا يقبل تفسيره اعتمادا على ذاتية القارئ فحسب فهو "النص" مركب من الطرفين والمعنى المترشح منه هو نتيجة تفاعل بين النص والقارئ، وتتم دراسة المعنى عبر اختبار تأثيره في القارئ لا بوصفه هدفا يجب تحديده[2].

حدّد "إيزر" العمل الأدبي بقطبين، قطب فني وقطب جمالي: أمّا القطب الفني: فهو من يبلغ القارئ بحمولات النص المعرفية. وأمّا القطب الجمالي: فيكون في عملية القراءة التي تخرج النص من حالته المجرّدة إلى حالته الملموسة، أي يتحقق الهدف من النص عبر استيعابه وتأويله.

علاقة نظرية التلقي بالأدب المقارن:

ناقش "هانز ياوس" تعريف "كاريه" (Carré) للأدب المقارن الذي حصر فيه الدراسة بالعلاقات بين الأمم. يرى ياوس أنّ هذا المفهوم "يؤدي إلى بقاء تجربة التواصل الأدبي المعيشة متوارية تحت مجموعة من الظواهر الأدبية وإلى إغفال وجود ذات فاعلة وراء العلاقات الموضوعية أو الروحية تحقق التبادل الأدبي بالتلقي، كما بالتأويل وبالاقتناء كما بإعادة إنتاج السابق"[3]، فيجب على الأدب المقارن أن يتجاوز تكريس غايته العلمية في تحقيق المقارنة المنهجية ذلك لا يتم إلاّ بإعادة تجديد التواصل الأدبي، والسعي إلى إعادة

---

1 – المرجع نفسه، ص 47.

2 – ينظر، سوزان باسنيت: الأدب المقارن، ترجمة أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة 1999م، ص 205.

3 – ينظر، هانز ياوس: جمالية التلقي، نظرية الاستجابة الجمالية، ص 108.

بناء علاقات التلقي والتبادل بين الأمم بعيدا عن الأمور الدينية والسياسية وعلاقات التاريخ الأدبي التقليدية[1].

وهناك من الباحثين المقارنين من يرجع بدايات وضع منهج مقارن يقترب في رؤيته من جمالية التلقي إلى جهود "ستفان سوتير" (Stephen Suter) منذ عام 1962م، حيث دعم فكرة دراسة الكيفية التي يتم بواسطتها تمثل أدب آخر، ومدى احتياج الأدب المتأثر إلى العمل المؤثر في العصور المختلفة[2].

ما يعاب على المنهج الألماني أنّ تأثيره في الأدب المقارن كان محدودا ويكاد يكون معدوما بسبب أنّ أفكاره كانت عامة غير واضحة. ومع ذلك لا ينكر الدارسون أنّ المفاهيم التي جاءت بها جمالية التلقي مثل: تصور عمل ما من خلال المتلقي، أفق الانتظار، كل عمل هو جواب عن سؤال... الخ، كانت جزءًا مهما من مكتسبات الأدب المقارن اليوم، حيث يمكن للباحث استثمارها في عملية المقارنة للوصول إلى معطيات جديدة ما كان لهه الوصول إليها وهو يعمل في حدود منهجه السابق[3].

من مظاهر انتشار دراسة التلقي بدلا عن التأثير في الدراسات المقارنة الألمانية، صدور كتاب "علم الأدب المقارن" عام 1981م (لم يترجم للعربية عرض الدكتور عز الدين مناصرة موجزا عن محتوياته في كتابه مقدمة في نظرية المقارنة).

ضمّ في محتواه دراسات لعدة كتَّاب، تناول موضوع التأثير والتلقي، التأثير الإيجابي، طرق وأشكال الاستقبال، تقويم الترجمة الأدبية[4].

---

1 – المرجع نفسه، ص 109.

2 – ينظر، دانيال هنري باجو: الأدب العام المقارن، ترجمة الدكتور غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1971م، ص 20.

3 – ينظر، بيير برونيل وكلود بيشوا وأندريه روسو: ما الأدب المقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات دار علاء الدين، ط1، دمشق 1996م، ص 60.

4 – انظر، علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، أطروحة دكتوراه، العراق 2009م.

بهذا يكون مصطلح التلقّي قد حلّ محلّ التأثير والتأثر لنفور المنهج الألماني من الطبقية الاستعلائية التي وضعتها المدرسة الفرنسية، حيث أن التأثير يرفع من شأن المؤثر ويحط من شأن المتأثر.

***

الفصل الثاني

نشأة الأدب المقارن عند العرب

نشأة الأدب المقارن عند العرب

عرف العرب منذ القدم المقارنات الأدبية لكنّها لم تكن بتلك القيمة الأدبية التي حظيت بها في أوروبا بسبب أنها لم تعتمد على منهج واضح وهذا ما جعلها دون قيمة تذكر.

عدم وجود منهج واضح لم يمنع وجود تبادلات أدبية ومعرفية، فالعرب احتكوا بغيرهم من الشعوب منذ القدم خاصة الفرس والروم والهنود ونتيجة ذاك الاحتكاك حدث ما يعرف بالتأثير والتأثر في مختلف مجالات الحياة بشكل عام وفي الأدب بشكل خاص.

قبل أن نتناول علاقة الأدب العربي بغيره من الآداب أردت أن أتطرّق للمحه موجزة عن معنى كلّ من التأثير والتأثر لأنهما محور المقارنات الأدبية العربية وصلبها.

لكل من التأثير والتأثر معنى ودلالة، فالأول – التأثير – هو دراسة عمل أو مجموعة أعمال لأديب واحد، أو بلد واحد تكشف آثاره وإشعاعاته عند الآخرين، وتسربه إلى آداب أجنبية[1]. وأمّا الثاني – التأثر – فيكون من المرسل إلى المرسل إليه، الذي يتأثر بآداب أجنبية عن أدب قومه، وفي لغات أجنبية، فيتأثر بكتاب أو أديب، أو أدب بكامله[2].

رغم اختلاف المعنى والدلالة بين كلّ من التأثير والتأثر إلا أنه لا يمكن فصلهما عن بعض، باعتبارهما المحور الأساسي للأدب المقارن، لأنهما المبدأ الثابت الذي تدور حوله المناهج المقارنة والتي عملت من أجل استنباط التأثيرات المتبادلة بين الآداب، وبين الآداب وغيرها من المعارف.

1 – علاقة الأدب العربي بالآداب الأخرى:

أ – علاقة الأدب العربي بأدب الفرس:

يرى المؤرخون أن العلاقة بين العرب والفرس قديمة الوجود قدم الشعبين. وما يُثبت

1 – انظر، ثامر بن سليمان الحامد بحث حول تأثر الأدب العربي بالآداب الأخرى، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1433هـ.

2 – المرجع نفسه.

ذلك الحروب التي كانت قائمة بينهما، وآخرها "معركة ذي قار"[*] التي انتصرت فيها قبيلة بكر العربية على الفرس.

توطدت العلاقات بين العرب والفرس في عهد الدولة الساسانية، فتعلموا الشعر والفروسية من العرب.

استمرت العلاقات بين الشعبين واشتدت بعد الفتوحات الإسلامية، فبعد إسلام بلاد فارس تعلّموا العربية، وصارت لغتهم الرسمية، وبقي الأمر كذلك حتى أواخر الدولة الأموية.

بعد سقوط الدولة الأموية ومجيء العباسيين تمكّن الفرس من التوغل في الدولة، ووصلوا إلى مناصب عليا فيها، وبدأوا بإحياء اللغة الفهلوية التي نُسيت عدّلوها وكتبوها بحروف عربية[1].

يرى المؤرخون أن الأدب الفارسي هو أول أدب أجنبي اتصل بالأدب العربي وذلك نتيجة الجوار من جهة والإسلام وفتوحاته من جهة أخرى فقد توسّعت رقعة اللغة العربية لتخرج من شبه الجزيرة العربية وتعمّ بلاد فارس وتحلّ محلّ اللغة الأصلية للبلاد، وحتى بعد ما يزيد عن القرن من الزمن أراد الإيرانيون إحياء اللغة الفهلوية، واستعانوا باللغة العربية خطاً ومفردات وأدباً وبقيت اللغة العربية بذلك الأولى في إيران، قاموا بوضع عناوين عربية لمؤلّفاتهم كما زانوا شعرهم بأوزان عربية.

أمّا عربيا فالتأثر كان موجودا أيضا، فتأثرت العربية بمعان وفنون أدبية فارسية، ويظهر ذاك التأثر خاصة عند العرب ذوي الأصل الفارسي فنجدهم ينظمون شعرا عربيا

* – معركة ذي قار هي يوم من أيام العرب في وقت الجاهلية القريبة من الإسلام، هو أول يوم انتصر فيه العرب على الفرس، وقعت المعركة في العراق بالضبط في منطقة ذي قار ويقال بأنّ سبب المعركة هو رفض هانئ بن شيبان تسليم ودائع النعمان لكسرى، ذي قار كانت آخر معارك الحرب فنسبت الحرب إليها.

1 – انظر، فيصل حسن غوادره: ما بين الأدب العربي والفارسي حول قصة ليلى والمجنون، دراسة مقارنة، مركز جنين الدراسي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ع9، 2007م.

فارسي كأبي نواس مثلا.

أمّا على مستوى النثر فنجد **عبد الحميد الكاتب** فارسي الأصل، قام بإدخال الكثير من الأساليب الجديدة للفنون الأدبية العربية حيث طور من أسلوب الرسالة مثلا وجعلها فنّا قائما بذاته، وكذا الكتابة الديوانية التي عرفتها العرب متأخرة[1].

أيضا أدب التصوف والفلسفة التي ألف فيها مؤلفات عربية لأدباء أصلهم فارسي كابن سينا وأبو حامد الغزالي، وكذا ما كتب في علوم اللغة من صرف ونحو وفقه وتفسير للقرآن وكتابة للحديث كالبخاري والترمذي والطبري... وغيرهم من ذوي الأصل الفارسي. كما لعبت الترجمة دورا مهما في التمازج الثقافي بين العرب والفرس، فترجمت روائع الأدب الفارسي للعربية وكذا ترجمت أعمال كثيرة من العربية للفارسية كما فعل أبو المعالي نصرالله الذي ترجم "كليلة ودمنة" لابن المقفع[2]. ويرى الباحثين أنّ العصر العباسي هو العصر الذهبي للترجمة بسب اهتمام الخلفاء بها، خاصة المنصور والمأمون.

إذن ما يمكن استخلاصه من علاقة التأثير والتأثر بين العرب والفرس كانت على جميع الأصعدة والميادين تقريبا. اهتم جهابذة الأمتين وعقلائها بكلّ جميل وأخذوه، وبفضل ذلك خلّفوا للأجيال حضارة لا تزال محطّ أبحاث ودراسة لليوم، ذاك التمازج الثقافي والتداخل الحضاري خلق تكاملا لا تشوبه شائبه.

ب – علاقة الأدب العربي بأدب الهند:

من الطبيعي أن يتأثر قوم بقوم إذا وجدت علاقة اتّصال بينهما، وكلّما كان الاتصال وثيقا كانت عملية التأثير والتأثّر باللغة العمق. إذا تحدّثنا عن علاقات التأثير فأول ما يتأثر هو اللّغة التي تتغير صورتها أحيانا كما حدث مع الفارسية وتأثّرها بالعربية، وإذا ذكرنا بلاد فارس والعرب فلا بدّ لنا أيضا من ذكر بلاد الهند والعلاقة التي جمعت بينها وبين العرب.

---

1 – فيصل حسن غوادره: ما بين الأدب العربي والفارسي حول قصة ليلى والمجنون.

2 – انظر، الشيرازي: أريج البستان، ترجمة الدكتور أمين بدوي، دار الشروق، ط2، القاهرة 2006م.

العلاقات العربية الهندية قديمة جدا كانت موجودة قبل الإسلام بعشرات السنوات، ربطتهم علاقات تجارية على وجه الخصوص فكانوا يتبادلون المنتجات بينهم كما نقل العرب منتجات إفريقيا والشرق الأوسط إلى الهند وغيرها من البلدان المجاورة لها وأيضا سوّق العرب المنتج الهندي في كل المناطق التي تقع في طريقهم.

عُرفت الهند منذ القدم واشتهرت بصناعة السيوف، والمعروف أيضا افتتان العرب بها لأنهم فرسان بالفطرة فسمّوا بناتهم بهند وأبنائهم بمهند وهذا نوع من التأثر إن صح القول.

إذا تحدّثنا عن الهند فلابدّ لنا أن نتحدّث عن حضارتها الفكرية والثقافية لأنها أحد أهم الحضارات العريقة التي زوّدت الحضارة العربية الإسلامية بعديد الإنجازات الفكرية في مختلف المجالات من طبٍّ وفلك وفن وأدب وحساب وهندسة...

إضافة إلى علماء بلاد الهند الذين أثّروا بشكل كبير في الثقافة الإسلامية حينما اتّصلت الحضارتين اتصالا وثيقا[1] وأثمر هذا الاتصال بحضارة الهند الاستفادة من جانبها الفكري الذي كان زاخرا ومتطورا في كافة جوانبه ووصفهم المؤرخ اليعقوبي بأنّهم: "يفوقون الناس في كل حكمة"[2].

الاتصال الذي حدث بين العرب والهنود – بعد الفتوحات الإسلامية خاصة – أثمر عن إنجازات حفظها التاريخ ليومنا هذا، ورغم نبوغ الهنود إلا أنّه كانت هناك نقائص أتمّها لهم المسلمون الفاتحون كما ساهمت الأفكار الهندية في تكوين حضارة عربية متينة لا يمكن إنكارها، وسنحاول توضيح العلاقات الثقافية المتبادلة وعمليات التأثير والتأثر.

1 – التاريخ والجغرافيا: لم يكن هناك ما يدل على وجود مؤلفات هندية في هذا المجال وما وُجد كان عبارة عن معلومات تناولت جوانب من تاريخ وطبيعة الهند بشكل متناثر[3]،

---

1 – انظر، حسين كريم حمدي: أثر علماء الهند في المعارف والعلوم في العالم الإسلامي، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء بغداد، ع27، ديسمبر 2019م.

2 – المرجع نفسه.

3 – ينظر، الطرازي: دور العرب في نشأة علمي التاريخ والجغرافيا لبلاد السند، مجلة الخفجي، ص 18.

ومؤلفاتهم وقتها كانت عبارة عن قصص وكُتب دين، وبعد دخول الإسلام لبلاد الهند بدأ الاهتمام بهذين العلمين من قبل الرحالة العرب الذين سجلوا وبشكل مفصل ما شاهدوه، إضافة إلى وصفهم الدقيق لجوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وكل ما سُجل ساعد وسرّع في عملية الفتح الإسلامي، لأنهم كانوا بحاجة لإزالة الغموض قبل الدخول للهند، ولولا الكتابات العربية عن تاريخ الهند لكان تاريخهم مفقودا في تلك الحقبة التاريخية[1].

وأبرز من كتب عن الهند وأثرها التاريخي والحضاري هو "أبو الريحان البيروني" أعظم علماء عصره وأشهر رحّالة لم يشهد التاريخ له مثيل وله الفضل في حفظ الكثير من تاريخ الهند، وكتابه: "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذوله" أهم مصدر لتاريخ الهند[2].

2 – الفلسفة والطب وعلم الفلك والحساب: برع الهنود في الفلسفة التي جاءتهم عن طريق اليونان، وكان للفلاسفة مكانة كبيرة لدى ملوك الهند. بعد دخول الإسلام للهند حظيت الفلسفة باهتمام أكبر حيث هتم بها الفاتحون وأخذوا منها ما يناسبهم ويتماشى مع تعاليم دينهم، ذاك التمازج بين الفلسفة الهندية والديانة الإسلامية خلق فلسفة عربية إسلامية فريدة وصلت لذروتها في العصر العباسي على يد "**ابن النديم**" الذي اهتمّ بالفلسفة الهندية بشكل خاص، وما لا يمكنه إنكاره أنّ ما وصلت إليه الفلسفة في العصور الإسلامية كان بفضل فلسفة الهنود.

– أمّا إذا تحدثنا عن الجانب العلمي فنذكر الطبّ الذي برع الهنود وتفوقوا على غيرهم فيه على اتّساعه وكثرة فروعه. اهتم العرب بالطبّ الهندي أكثر من غيرهم وكان من بين أهم العلوم التي لاقت اهتماما مميزا خاصة في العصر العباسي، ذاك التبادل المعرفي والتجاوب

---

1 – انظر، حسين كريم حمدي: أثر علماء الهند في المعارف والعلوم في العالم الإسلامي.

2 – المرجع نفسه.

العلمي بين الشعبين ساهم في نبوغ أطباء تفوقوا على الهنود أنفسهم مثل: **حنين بن إسحاق** الذي برع في أمراض القلب[1] ترجمت كتب طبية عديدة للعربية اهتمت بمختلف الظواهر والأعراض وطرائق العلاج.

– اهتم الهنود أيضا بعلم الفلك والنجوم وربطوا أقدارهم بذاك العلم، قام العرب بترجمة أعمال الهنود في هذا المجال وطوروها وجعلوا علم الفلك مجالا واسعا وغيّروا اتجاهه المتبع عند الهنود. ونفس الشيء بالنسبة للحساب فقد برع الهنود فيه وهم من وضعوا الأرقام وقسّموها لوحدات ومراتب، كما وضعوا للمجاهيل رموزا، ووضعوا القيم السالبة والموجبة وأشاد الجاحظ بذلك فقال: "لولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير والبسيط ولبطلت معرفة التضاعيف"[2].

– أما في مجال الهندسة فرأى العرب أنّ الهنود عالجوا المواضيع بطرق عدّة وتفوقوا على الإغريق في ذلك، وفي علم المثلثات تفوق العرب على الاثنين رغم اعتمادهم على بعض الحلول الهندية.

مما لا يخفى على الدارسين بأنّ الحساب الهندي كان معمولا به بشكل واسع عند العرب وخير مثال ابن سينا الذي اشتغل بالحساب الهندي[3].

3 – الأدب والفنون مع دخول الإسلام إلى بلاد الهند، تأثر الأدب الهندي والعربي بشكل كبير، شمل الجوانب القصصية والنثرية والبلاغية، وقد وصل من الهند قصص تحمل معاني أخلاقية لاقت اهتمام العرب مثل كتاب كليلة ودمنة الذي يعدّ من الأدب الأخلاقي، وترجم

---

1 – انظر، أبو الحسن المسعودي: مُروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، ج2، ص 366.

2 – ينظر، الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، القاهرة 1965م، ج1، ص 38.

3 – حسين كريم حمدي: المرجع السابق.

هذا العمل من الهندية إلى الفارسية وترجمه ابن المقفع للعربية بأسلوبه وتعبيره[1].

يعود الكتاب في الأصل إلى الحكيم "بيديا" والذي ألفّه للملك الهندي وقتها قبل الإسلام، الكتاب عبارة عن نصائح للأخلاق والآداب موجهة للملوك، كان عبارة عن حكايات على لسان الحيوان مكون من عشرة أبواب.

ومن الكتب المهمة التي ترجمت أيضا من الهندية للعربية كتاب "ألف ليلة وليلة" كان هذا المؤلف زاخرا بالأساليب القصصية التي جاءت على لسان الحيوان والهند تميّزت بهذا اللّون. إضافة إلى تلك المؤلفات توجد كتابات الحكيم الهندي "سندباد" الذي تُرجم من الهندية إلى العربية، اعتبره البعض إرثا فارسيا إلا أنّ أصل الشخصية هندي تُرجمت أعماله للفارسية ثم للعربية. تلك المؤلفات وغيرها تركت الأثر الكبير في الأدب العربي الإسلامي وفتحت أمامه آفاقا كثيرة زادت من قيمة النثر وبلاغة الرواية. أيضا الهنود تميّزوا بالحكمة التي ملأت كتبهم والتي تناقلها العرب واستخدموها في مؤلّفاتهم.

أمّا الشعر فقد نشطت حركته بعد انتقال عدد كبير من شعراء العرب إلى الهند، وظهور شعراء وأدباء هنود كتبوا بالعربية، وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على تأثير الشعر العربي في الشعر الهندي. أبرز من كتب بالعربية "أبو العطاء أفلح بن يسار الندي" قصائده كانت من روائع الشعر العربي وذكر بعضها في ديوان الحماسة لأبي تمام.

التبادل الأدبي بين المسلمين العرب والهنود أدّى إلى تنشيط الحركة الثقافية في الهند والعراق على حدّ سواء، كما أصبحت عجائب الهند موضوعات أدبية عربية، وتبدو هذه الظاهرة واضحة في أدب الجاحظ وابن قتيبة وغيرهم[2].

ج – ترجمة المعارف اليونانية للعربية:

الترجمة وسيلة تواصل بين الشعوب والأمم، ساهمت بشكل كبير في نقل الفكر

---

1 – ينظر، أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية والباكستانية وحضارتها، دار النهضة الشرق، القاهرة 2001م.

2 – ينظر، حسين كريم حمدي: أثر علماء الهند في المعارف والعلوم في العالم الإسلامي.

الإنساني من لغة لأخرى. كما أنّها حافظت على الحضارات من الاندثار واستفاد اللاحقون من السابقين ومعارفهم.

اهتم العرب بالترجمة منذ فجر الإسلام وازدهرت ولمعت في عهد الدّولة العباسية وخُصصت لها دُور كبيت الحكمة الذي أسّس في عهد هارون الرشيد وازدهر في عهد الخليفة المأمون، ترجمت فيه مختلف العلوم من مختلف اللغات.

بفضل ترجمت تلك المعارف والعلوم انفتح الفكر العربي واستفاد من غيره، ومن بين الحضارات التي نالت اهتمام المترجمين العرب وشغلتهم وأثّرت فيهم الحضارة اليونانية التي نُقلت إلى السريانية ثم العربية ومن ثم إلى اللاتينية[1].

يجمع المؤرخون على أنّ الترجمة من اليونانية إلى العربية بدأت في العصر الأموي، على يد الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وبلغت الترجمة أوجّها في العصر العباسي عني خلفاء الدولة العباسية بالفلسفة عناية خاصة ونقلوها من عند اليونان الذين اشتهروا بها، تلك العناية كانت بسبب ما وجدوه فيها من حكمة ساعدت المسلمين في مناظراتهم وحواراتهم، تأثر العرب بفلسفة أرسطو وأفلاطون على وجه الخصوص، أخذوا منهم فلسفتهم التي تتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي لذا خلق المسلمون فلسفة متفردة لم تعرفها اليونان[2].

الوازع الديني والدفاع عن الإسلام كان المحرك الأساسي للرغبة في استخدام الفلسفة والمنطق اليوناني أيضا حاجة المسلمين للتجارب العقلية بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية حيث كانوا بحاجة إلى جانب الحجة الدينية للحجة العقلية من أجل إقناع الشعوب بالإسلام. مع ذاك الاتساع كثرة التراجم، مما أدى إلى تغيير في الألفاظ العربية حيث أصبحت أكثر اتساعا غنية بمعاني جديدة، ذات مدلولات دقيقة التعبير، أمّا من ناحية التأليف فقد أصبح

1 – ينظر، زهيرة كبير: ترجمة العرب للنصوص الفلسفية اليونانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، مجلة منيرفا، مجلد 4، ع2، 2018م، ص 81.

2 – نفسه.

أكثر تنظيما وتنسيقا ونضجا.

كان من آثار الترجمة هجران ألفاظ البادية، واستعمال السهل الواضح من الألفاظ والأساليب، اعتمدوا على التفصيل بدل الإيجاز(1)، كما تغيّر الشعر وأغراضه وأصبحت هناك أغراض شعرية جديدة لم تكن معروفة من قبل، كما أصبح الشعر في العصر العباسي يتضمّن الكثير من الحكمة والتفكير الفلسفي(2) كما برز ذلك في شعر المتنبي حتّى أنّه أُتّهم بأنّه ترجم مائة قول لأرسطو شعرا(3)، واستخدم أبو نواس المنطق في خمرياته.

ما حدث للشعر حدث للنثر فنجد الجاحظ يلجأ للمنطق والجدل والعلم في مؤلّفاته مما يدل على تأثره بالمعاني الفلسفية المنقولة. أمّا فلسفيا فنبغ الفارابي وبن سينا والغزالي وبن رشد الذين عُدّوا تلامذة لليونان، فهذا الفارابي كتب "المدينة الفاضلة" نقلا عن أفلاطون صاحب "جمهورية أفلاطون" كما أخذ ابن رشد عن أرسطو الطبيعيات والأخلاق(4).

وهكذا أصبح جليّا للمتتبع عبر التاريخ أنّ الترجمة أدّت للثقافة العربية خدمة كبيرة لأنّها وصلت بين الفكرين العربي واليوناني كما أنّ العرب أنقذوا العلوم العالمية من الضياع والاندثار بحفاظهم عليها في معاهدهم ومدارسهم، ولولا العرب لما استعادت أوروبا الحديثة تاريخها وعلومها.

وخلاصة القول أنّ الترجمة وسعت من آفاق الفكر العربي لانفتاحه على غيره وبفضلها بنى العرب حضارة عظيمة وعمران لا يضاهيه أحد.

---

1 – ينظر، فاطمة مزهود: الترجمة في العصر العباسي، جامعة الجزائر 1، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، ع1، 2013م.

2 – ينظر، أوليري دي لاسي: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، بيروت 1955م، ص 99.

3 – ينظر، ألدوا ميلي: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، دار القلم، القاهرة 1962م، ص 102.

4 – ينظر، فاطمة مزهود: المرجع السابق.

د – مساهمة الجاحظ في الدرس العربي المقارن:

يعدُّ الجاحظ(*) أبرز شخصيات العصر العباسي، عرف بسعة علمه وتمكّنه من اللغات، كان مطّلعا على الثقافات الكبرى وقتها، فجاءت أعماله متفردة زاخرة بمختلف العلوم من مختلف الثقافات. عرف الأدب وقتها ظاهرة التأثير والتأثر بشكل ملحوظ بسبب الاختلاط بين العرب وغيرهم من الشعوب، لكن المؤرخون القدامى لم يتطرقوا لظاهرة تبادل النصوص والاستعارات ولا كيفية انتقالها[1].

عقد الجاحظ مقارنات في مؤلفاته وكان السبّاق لمثل تلك الدراسات بسبب أنه عاش في بيئة كانت ملتقى للثقافات مختلفة، ذاك ما ولّد لديه فكرة المقارنة من أجل معرفة أي حضارة أقوى من الأخرى. وانتبه إلى ذلك بعض المعاصرين، فتعددت الإحالات إليه في هذا المجال وأفرد له الطاهر مكي فصلا في كتابه "في الأدب المقارن" حيث أورد قطعا متناثرة من نصوصه تدور حول بعض جوانب الأدب العربي وما يقابلها من آداب الأمم الأخرى[2].

كتب الجاحظ في "البيان والتبيين" عن بلاغة الفرس والروم والهند واليونان، وأشار إلى خصائص مشتركة بينها وبين بلاغة العرب، لكن مقارنات الجاحظ لم تكن مبنية على منهج بل اعتمدت على أفكار وأحكام ذاتية[3].

قارن أيضا بين الشعر العربي والشعر الفارسي والإغريقي، لكن مقارنته لم تتعدّ الجانب الشكلي، أي أنّه درس الإيقاع والقافية وأعطى الصدارة للعرب لأنّ ما جاء من أشعار

---

* – أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزازة الليثي الكناني البصري المعروف بالجاحظ أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ولد بالبصرة وتوفى بها سنة 868م، أبرز أعماله: الرسائل، البيان والتبين، البخلاء، الحيوان...

1 – ينظر، الدكتور محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع17، 2017م، ص 7.

2 – ينظر، الدكتورة نادية دحماني والدكتور سالم سعدون: جذور الأدب المقارن في كتابات الجاحظ، مجلة المعارف، جامعة البويرة، مجلد 17، ع1، 2022م، ص 812.

3 – ينظر، الدكتور محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن.

العرب كان أفصح ولغتهم أوسع، وألفاظ العربية أكثر دلالة من غيرها، كما أنّ شعر العرب موزون بينما الفرس والروم فلم يقولوا شعرا بل مطّطوا في الألفاظ. ومن جهة أخرى تحدث الجاحظ عن صورة الفرس في كتاب "البخلاء" الذي يعتبر من أقدم الكتب التي كان لها رأي في الآخر[1] أو ما يسمى بالصورائية، ولم يكن هدف الجاحظ من مؤلفه الإنقاص من قيمة الفارسي، لأنّه ذكر محاسنهم أيضا كما تحدث عن بخلاء العرب.

تحدث في كتابه "الحيوان" عن الترجمة حيث يرى أن الشعر يفقد قيمته إذا ترجم، حيث يقول: "والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل ومتى حوّل تقطّع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب لا كالكلام المنثور"[2].

كما تكلم الجاحظ عن صعوبة ترجمة الشعر العربي لأنّه "إذا كان من الممكن ترجمة رسائل الشعوب وخطبها وكتبها ومن الممكن تقويمها على الأقل من حيث محتواها، فإنّ العرب ربّما لم يعرفوا كيف يطلعون العالم الخارجي على نتاجهم الأدبي نظرا إلى أنّ ميزتهم هي الشعر، والشعر لا يمكن أن يترجم"[3]، وهذا دليل على أنّ العرب لا يمكن مزاحمتهم في مجال الشعر. لقد لاحظ الجاحظ أيضا أخطاء في الترجمات التي وصلت، كما لاحظ صعوبتها، وتزيُّد بعض المترجمين وتقويلهم الكاتب الأصلي ما لم يقل. استنكر من بعض الأخطاء التي يقع فيها المترجم وذلك بسبب الكذب أو الجهل بدقائق اللغة المنقول منها.

وضع شروطا للترجمان كي يحافظ على الأمانة العلمية إذ ينبغي أن يكون الترجمان: "بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيها سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين،

---

1 – د. محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن.

2 – ينظر، الجاحظ: كتاب الحيوان، ج2، ص 75.

3 – ينظر، لشارل بيكو بيلا: الجاحظ والأدب المقارن، ترجمة محمد وليد حافظ، الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998م، ع96، ص 155.

علما أنّه قد أدخل الضيم عليهما"[1].

إذا الأصل العربي لعقد المقارنات يعود الفضل فيه للجاحظ لذا وجب على الباحث العربي الرجوع إلى كتب الجاحظ التي عقد فيها المقارنات بين الثقافة العربية والروافد الأجنبية، كما أقرّ أنّ النثر العربي ولد بفعل التأثير الأجنبي، خاصة كتاب "كليلة ودمنة". كما تحدث عن الترجمة وإشكالاتها التي تدخل في صميم الأدب المقارن فذكر محاسنها وعيوبها وشروط من يمتهنها، يمكننا القول إنّ الجاحظ قد سبق رواد الأدب المقارن بأكثر من ألف عام.

2 – بداية الدراسات المقارنة عند العرب:

ظهرت محاولات عربية في الدراسات المقارنة منتصف القرن التاسع عشر، شهدت تلك الدراسات تطورا نسبيا وساعد على ذلك عوامل عدّة منها:

– الاحتكاك والتواصل بين العرب والغرب.

– ازدهار حركة الترجمة والصحافة.

– دعاة التجديد الذين أرادوا تعريف القارئ العربي بآداب الغرب.

رواد النهضة العربية يمكن اعتبارهم أصحاب البدايات الأولى للأدب المقارن عند العرب. ركّز المقارنون العرب على دراسة التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والآداب الغربية الحديثة ولم يتطرّقوا إلى دراسة التأثير والتأثر لأنّ فضل أدب أمة على أدب أمة أخرى لم يكن اهتمامهم، عكس ما ذهبت إليه المدرسة الفرنسية التي اشترطت وجود الصلات التاريخية بين الآداب[2].

الانطلاقة الأولى للمقارنات العربية مع الآداب الأجنبية كان الغرض الأساسي منها الاتصال والانفتاح والاقتباس أكثر من معرفة حقيقة صلة أدب بآخر، ونجد ذلك واضحا عند

---

1 – ينظر، الجاحظ: كتاب الحيوان، ص 76.

2 – د. محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن.

مجموعة من رواد النهضة العربية أمثال: الطهطاوي، علي مبارك، يعقوب صروف، محمد روحي الخالدي، وغيرهم[1].

أُعتبر رفاعة الطهطاوي أول عربي تناول البحث المقارن بين الأدب العربي والغربي، سافر في بعثة طلّابية إلى باريس وبعد عودته تفرّغ للترجمة، كما ألّف كتابا في تاريخ باريس سمّاه: "تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز"[2]، الكتاب عبارة عن مقارنة بين الثقافتين العربية والفرنسية، وصف فيه أحوال الفرنسيين وسياستهم كم وصف مسكنهم ومأكلهم ومشربهم، ذكر عاداتهم وملابسهم والتقدّم الذي وصلوا إليه، كل ذلك قارنه مع العرب[3].

بعد الطهطاوي جاء "يعقوب صروف" الذي دعا للاطلاع على أدب الغرب عبر مجلّته "المقتطف". كتب يعقوب صروف مقالة عنونها بـ: "شذوذ الإبريز في نوابغ العرب والإنجليز" قارن فيها بين العرب والإنجليز، المقالة الرئيسية قسمت لثلاثة مقالات هي:

1 – المقالة الأولى: وازن فيها بين صلاح الدين الأيوبي والملك ريتشارد قلب الأسد.

2 – المقالة الثانية: قارن فيها بين أبي العلاء المعري وجون ملتوون.

3 – المقالة الثالثة: قارن فيها بين ابن خلدون وهيربرت سبنسر.

حاول إبراز أوجه الاختلاف والتشابه بين العربي ونظيره الإنجليزي، دون أن يتطرق لإمكانية تأثر اللاحق بالسابق[4].

نجد أيضا "نجيب حداد" الذي قارن بين الشعر العربي والإفرنجي في مقالة كتبها وعنونها بـ: مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي، كان نجيب حداد من أشدّ المعجبين

---

1 – ينظر، عائشة رماش: فكرة المقارنة وتطورها عند العرب، مجلة التواصل في اللّغات والآداب، جامعة عنابة، ع37، 2014م.

2 – ينظر، د. محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن.

3 – ينظر، رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز، سلسلة الأنيس، الجزائر 1991م.

4 – للدكتورة عائشة رماش: فكرة المقارنة وتطورها عند العرب.

بالأدب والانفتاح الفرنسي، فصرّح بقصور الوصف في الشعر العربي، بالمقارنة مع وصف فيكتور هوجو لمعركة "واترلو" (Waterloo) ونفى أن يأتي الشاعر العربي بنظيره[1].

نجد أيضا "خليل ثابت" الذي درس اختلاف الأذواق الأدبية بين العرب والإفرنج، مبينا دور المتلقي في فهم النص الأدبي الأجنبي، وكان ذلك قبل ظهور نظرية التلقي الألمانية[2].

يرى أنّ الهدف من المقارنات ليس تفضيل أدب على آخر بل هو إظهار الجمال وتعريف العالم بمختلف الآداب كما دعا إلى تعريب الآداب الغربية حتى يتعرف عليها القارئ العربي[3]. أمّا نيكولا فياض فدعا إلى دراسة الآداب في لغاتها الأصلية لأنّ الترجمة تفقد النص الأصلي لكثير من خصائصه.

ما يلاحظ على هذه الفترة بالذات أنّ الدراسات العربية ازدهرت نتيجة الاحتكاك بالغرب وما ميّز الدرس المقارن على وجه الخصوص أنّه اتّخذ اتجاهين:

– الأول لم يقيّد نفسه بالبحث عن الصلات التاريخية بين العمليين الأدبيين، أو من تأثر بمن، بل كان هدفه معرفة التشابه والاختلاف لا غير كما فعل نجيب حداد مثلا.

– الثاني: كان هذا الاتجاه تاريخا اعتمد على الصلات التاريخية بين العمليين الأدبيين، كما استخرج ظاهرة التأثير والتأثر أي أنّ رواد هذا الاتجاه اعتمدوا على مبادئ المدرسة الفرنسة، وذاك ما نجده في بعض كتابات الطهطاوي ومحمد روحي الخالدي.

لا يفوت الدارس العربي أن يعلم أنّ الخالدي هو واضع الأسس الأولى للأدب المقارن كمنهج، ومهما كانت طبيعة بحوث الدارسين المقارنين العرب ونتائجهم، فيكفي أنّهم ساهموا في تطور الأدب والنقد الحديثين، حيث فتحوا أبوابا كان الأدب العربي جاهلا بها.

3 – الدرس المقارن والنّقاد العرب المحدثون:

مع بداية القرن العشرين بدأت الحركة العلمية العربية تنتعش وتستعيد نشاطها،

---

1 – نفسه.

2 – نفسه

3 – ينظر، خليل ثابت: بلاغة العرب والإفرنج، مجلة المقتطف، مجلد 24، ج1، يناير 1900م.

فازدهرت حركة الترجمة بسبب اهتمام الباحثين والأدباء بالغرب على إثر الانفتاح الذي حدث وقتها. كان الأدب المقارن في الغرب تلك الفترة قد أسّس لنفسه مكانة بين العلوم الأدبية التي راجت، أمّا عربيا فكانت تُرسم ملامح لذاك الحقل المعرفي لم تكتمل بعد، بسبب أنّ البدايات تناولت فقط التشابه والاختلاف دون التطرق للتأثير والتأثر.

مع بداية القرن العشرين كان الاتجاه الفرنسي هو المسيطر على المقارنات الأدبية وأساس مقارناته التأثير والتأثر، فنجد "سعيد الخوري" قد درس البيان العربي والبيان الإفرنجي دون أن يتحدّث عن التأثير والتأثر، كان ذلك في مقال له نشره عام 1902م بعنوان: البيان العربي والبيان الإفرنجي، الهدف من المقال كان دراسة ومعرفة مزايا وعيوب البيانين[1].

أول من تناول ظاهرة التأثير والتأثر إلى جانب التشابه والتوازي بين عدد من النماذج الأدبية هو "روحي الخالدي" في كتابه "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوجو" الذي صدر عام 1904م، فالخالدي أول من استخدم مصطلح "علم الأدب"، فعُدّت دراسته أوسع وأشمل من المنهج التاريخي التقليدي[2]. وفي عام 1904م ترجم "سليمان البستاني" إلياذة هوميروس، حيث في مقدمة كتابه قارن بين الأدب العربي والأدب اليوناني، كما قارن بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي، وفرّق بين السرقة والتأثر[3].

كما لا يفوتنا ذكر "قسطاكي الحمصي" الذي نبّه إلى تأثر "دانتي أليغييري" (Dante Alighieri) "بأبي العلاء المعري" عنون دراسته تلك بـ: "الموازنة بين الألعوبة الإلهية ورسالة الغفران وبين أبي العلاء ودانتي شاعر الطليان"[4].

---

1 – ينظر، سعيد الخوري الشرتوني: البيان العربي والبيان الإفرنجي، مجلة المقتطف، مجلد 27، الجزء 4، أبريل 1902م، ص 370.

2 – د. محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن.

3 – المرجع نفسه.

4 – ينظر، قسطاكي الحمصي الحلبي: منهل الورّاد في علم الانتقاد، مطبعة العصر الجديد، حلب 1935م ج3، ص 154.

بقيت الدراسات العربية المقارنة دراسات تطبيقية لم تهتم بمناقشة نظريات الغرب ولم تحاول التعريف بالأدب المقارن هدفهم كان الاطلاع على ثقافة الغرب من أجل تطوير الأدب العربي وإحيائه حتى عام 1936م حين ظهرت مقالات لخليل هنداوي وفخري أبو السعود شاع فيها مصطلح "الأدب المقارن" الذي كان ترجمة حرفية للمصطلح الغربي (Littérature Comparée). لقد بدأت الدراسات العربية المقارنة قبل المدرسة الأمريكية والسلافية والألمانية لكن الدارسين العرب لم يكن هدفهم إنشاء مدرسة عربية ممنهجة وإنما هدفهم التعرف على ثقافة الآخر وتعريف القارئ العربي بها.

ما يلاحظ أيضا على الدارسين العرب أنّهم لم يتفقوا مع المدرسة التاريخية اتفاقا كاملا، بل اختلفوا معها في جوانب عديدة، وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ أنّه رغم انبهار العرب بالغرب وآدابهم الحديثة إلاّ أنّهم أخذوا حاجتهم منها من أجل النهوض بالأدب العربي.

وبعد ذلك، صدر كتاب "لنجيب العقيقي" عام 1948م عنوانه: "من الأدب المقارن" كان عبارة عن كتاب في الأدب والنقد، ولم يكن محتواه ذا علاقة بالمقارنات الأدبية.

وفي عام 1949م صدر كتاب لعبد الرّزاق حميدة بعنوان: "في الأدب المقارن" قارن فيه بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميديا الإلهية لدانتي، دراسته تلك عدّت في باب الموازنة لأنه لم يتطرق لعنصري التأثير والتأثر لكن دراسته وكتابه كانا أكثر نضجا ممن سبقوه. لقد ظلّ وضع الدراسات سطحيا إلى غاية خمسينيات القرن العشرين حيث تطوّر التأليف في الأدب المقارن العربي وظهرت مؤلّفات مترجمة، حيث تُرجم كتاب "الأدب المقارن" لـ: "فان تيجم" عام 1948م، وكتاب "الأدب المقارن" لـ: "ماريوس فرانسوا غويار" عام 1956م، وغيرها من الدراسات الغربية في مجال المقارنة[1].

تعرَّف القارئ العربي على المنهج التاريخي في الدراسات المقارنة بفضل كتاب "الأدب المقارن" لـ: محمد غنيمي هلال الصادر عام 1953م. ولم يختلف محمد البحيري كثيرا عن

---

1 – د. محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن.

غنيمي هلال في كتابه "الأدب المقارن" الصادر في نفس العام، فلم يضف شيئا للجهود العربية. وفي ستينيات القرن العشرين أصبحت الدراسات المقارنات أكاديمية، كما صدرت مؤلفات ذات أسس منهجية من بينها كتاب: الأدب المقارن لطه ندا، وبنفس العنوان ظهر كتاب لـ: حسن جاد... وغيرهم، واستمرّت الدراسات المقارنة في الوطن العربي تكبر وتتضح حتّى أنّه أصبح الأدب المقارن في السبعينيات يدرّس كمادة في الجامعات، لقد برز في التأليف في تلك الفترة حسام الخطيب وريمون طحان...، دارسو تلك الفترة تخلّوا عن الغرب وقارنوا الأدب العربي بالفارسي والهندي والتركي.

مرحلة النضج والازدهار للأدب المقارن العربي بدأت منذ ثمانينات القرن العشرين، حيث كانت أعمالهم أكاديمية ممنهجة تحترم النسق العربي، كما أصبح الأدب المقارن يُدرّس كتخصص في الجامعات العربية بعد أن كان يدرّس كمادة، نتيجة ذلك أصبح هنالك مذكرات وأطروحات عربية في هذا التخصص، اعتمدوا – معظمهم – على المنهج التاريخي إمّا تقليدا وإمّا من أجل إبطال المعتقد الفرنسي الذي جعل أدبه محورا للآداب الأخرى.

وبعد أن كان التاريخ حجّة لفرنسا أصبح دليلا ضدّها لأنّه في القرون الوسطى الأولى كانت آداب الشرق تشهد عصرها الذهبي بينما هناك ملوك فرنسيين لا يعرفون القراءة والكتابة. ومن أبرز المقارنين العرب في الثمانينات الدكتور أحمد مكي والدكتور عز الدين مناصرة والدكتور محمد عباسة... وغيرهم ممن أثروا الساحة العربية بدراسات مقارنة عربية خالصة.

***

الفصل الثالث

الأدب المقارن العربي من التطبيق إلى التنظير

الأدب المقارن العربي من التطبيق إلى التنظير

1 – اهتمام المقارنين العرب بالمنهج التاريخي:

يذهب بنا تاريخ الدرس العربي المقارن إلى الحديث عن مرحلتين مختلفتين تماما عن بعضهما. المرحلة الأولى: هي ما تناولته سابقا عن بدايات الأدب المقارن عند العرب، حيث كانت مؤلفاتهم وكتاباتهم غير ممنهجة، تناولوا فيها قضايا التشابه والاختلاف بين الآداب دون ذكر التأثيرات والتأثرات، أي أنّ المرحلة الأولى لم تنخرط في تيّار فكري معين، بل اكتفت بالمقابلات بين الأدب العربي وغيره من الآداب. أمّا المرحلة الثانية: فهي مرحلة التأسيس الفعلي للأدب المقارن العربي حيث بدأ التأليف والدراسة المنهجية وفق المنهج التاريخي. وإذا قلنا منهج وتأسيس فلا أحد ينكر أنّ "محمد غنيمي هلال" هو أوّل من أدخل هذا الحقل المعرفي بمنهجه الفرنسي إلى العالم العربي، وقد أثّر كتاب غنيمي الهلال على كل ما كتب بالعربية في مجالات الأدب المقارن في خمسينات وستينات القرن الماضي، وعلى طريقة تدريسه في الجامعات العربية حتى في السبعينيات[1].

يعدّ كتاب "الأدب المقارن" لمحمد غنيمي هلال منعطفا مهمّا في تاريخ الأدب العربي المقارن، يعدُّ هذا العمل أوّل عمل عربي منهجي، اعتمد على الرؤية الفرنسية، وعُرف بها.

أدى د. محمد غنيمي هلال دورا مهما في ترسيخ المنهج التاريخي منذ عام 1953م وحتى مطلع الثمانينيات من القرن العشرين وتأثر به معظم المقارنين العرب[2].

تناول د. محمد غنيمي هلال في مقدمة كتابه "الأدب المقارن" في طبعته الأولى التي صدرت عام 1953م إشكالية أثيرت حول دراسة الأدب القومي وعلاقته بآداب الأمم الأخرى، ناقش دور اللغة الذي تلعبه في صياغة وعرض المادة الأجنبية، كما ذكر في مقدّمة كتابه سبب إكثاره من الأمثلة التوضيحية لما يعرضه من مسائل وأفكار مقارنية عامة،

---

1 – عز الدين المناصرة: المثاقفة والنقد المقارن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان 1996م، ص 33 بتصرف.

2 – عز الدين المناصرة: علم التناص والتلاص، دار مجدلاوي، ط1، عمّان 2006م، ص 372.

فالغرض هو التعريف والتوضيح لمبادئ هذا العلم وتوخي أن يكون ذلك موجها تحفيزيا للمشاركة في هذا المجال البحثي المهم والجديد[1].

تبنّى الكتاب الدور التعليمي التعريفي بالأدب المقارن، كما ارتكز الكاتب في كتابه على آراء قطبي المدرسة الفرنسية "ماريوس فرانسوا غويار وبول فان تيجم"[2].

ينقسم كتاب د. محمد غنيمي هلال إلى بابين في كل باب فصول، في الباب الأول عرض في الفصلين الأول والثاني نشأة الأدب المقارن وتطوره في الغرب. في الفصل الأول حدّد عوامل نشأة الأدب المقارن وتطوره في الغرب، وفي الفصل الثاني ذكر واقع الدراسات المقارنة في الجامعات الأوربية وركّز على الأسس العلمية التي تعتمدها الجامعة في الدراسة المقارنة، وكيف يمكن الاستفادة من هذه الأسس في الجامعة المصرية، تحدّد هذه الأسس في جعل الجامعات تتخذ من أدبها القومي محورا لدراستها المقارنة مع الاهتمام بأدب الرحلة. وقف د. محمد غنيمي هلال عند واقع تدريس الأدب المقارن في الجامعة المصرية، ويقترح كيف يجب أن يكون الدرس المقارن. حدّد في الفصل الثالث الشروط المكونة للباحث المقارن وعُدّته، أمّا الفصل الرابع فتناول ميادين البحث في الأدب المقارن وفروعه.

تناول الكاتب في الباب الثاني من كتابه بحوثا في الأدب المقارن ومناهجه بالتفصيل وهي نفسها فروع الأدب المقارن التي ذكرها في الباب الأول بصورة مجملة، قسّمها لسبعة فروع هي:

1 – عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة (الكتب والمؤلفون).

2 – دراسة الأجناس الأدبية.

---

1 – د. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط5.

2 – قدّم د. سعيد علوش جدولا إحصائيا عدّ فيه نقول غنيمي هلال عن "غويار" و"تيجم" وقابل بينهما، وتساءل عن تردد د. محمد غنيمي هلال واشتغاله على تطويع الأفكار الغربية مع ما يتماشى والثقافة العربية كتصرفه في بعض المصطلحات، وإخلاصه لمقتضيات التعريف بالدرس المقارن مع تصرف يسير في إعادة صياغة الأفكار بطريقة تعليمية.

3 – دراسة الموضوعات الأدبية.

4 – تأثير كتاب في أدب أمّة أخرى.

5 – دراسة مصادر الكتب.

6 – دراسة التيارات الفكرية.

7 – دراسة بلد ما كما يصّوره أدب أمّة أخرى.

أمّا الخاتمة فناقش فيها علاقة الأدب المقارن بالأدب العام وذكر مزايا وعيوب كلّ منهما.

لقد عدّ المقارنون العرب عمل غنيمي هلال عملا نموذجيا للمنهج التاريخي، فقد رصد هذا العلم في العالم الغربي وعرض مفاهيمه وميادينه، تدارك الكاتب الخلل المنهجي الواقع في الدرس المقارن العربي، وحاول إرساء أسس منهجية تبنى عليها مدرسة عربية، ولا يزال كتابه مرجعا للكثير من الباحثين العرب لليوم، كما لا ننس أن نشير إلى أنّه كتابه الأول الذي نال بفضله الدكتوراه من فرنسا.

يجب علينا الإشارة أيضا إلى أنّه في نفس العام 1953م نشر محمد البحيري كتابه "الأدب المقارن"، ولم يختلف كثيرا عما جاء به محمد غنيمي هلال، ترجم لنا الأفكار الغربية المنقولة نحو الشرق، ولم يطوّر أو يناقش المنهج الفرنسي ولم يثر جهود الرواد العرب الذين سبقوه. ونفس ما قيل عن البحيري ينطبق على غنيمي هلال وصفاء خلوصي، فلم يحاول واحد منهم التفكير في بلورة منهج عربي في هذا الحقل المعرفي، بل اعتمدوا على ما جاء به الغربيون واكتفوا بترجمته.

2 – نحو مهاد مدرسة عربية في الأدب المقارن:

لم يكن بعض الباحثين المقارنين راضين عن اقتصار الأدب العربي المقارن على ترديد آراء ومقولات الآخر الغربي، كما لم يقتنعوا بتبني الدعوة إلى أدب مقارن عربي دون السعي إلى تحقيق ذلك. حاولوا تقديم مشروع منهج جديد يفيد المناهج النقدية الحديثة التي أقرّت بنقص المناهج السابقة.

في ثمانينات القرن العشرين بدأ التأسيس الفعلي للمنهج المقارن العربي ومن أبرز مقارني تلك المرحلة د. أحمد مكي ود. مناف منصور ود. أحمد عبد العزيز وأبرزهم د. عز الدين المناصرة.

انشغل د. المناصرة بتجديد منهج الأدب المقارن، أصدر كتابه الذي عنونه بـ: "مقدمة في نظرية المقارنة"[1] أعاد طباعة كتابه ثلاث مرات، وغيّر عنوانه في كلّ مرة بعد الطبعة الأولى.

أصدر الطبعة الثانية من كتابه عام 1996م، صدرت هذه الطبعة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت وغيّر العنوان إلى "المثاقفة والنقد المقارن، منظور إشكالي"، ليعيد النظر في العنوان والمحتوى ويصدر طبعة ثالثة تحت عنوان "النقد الثقافي المقارن، منظور جدلي تفكيكي" صدر الكتاب عن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع في عمّان الأردن عام 2005م ذاك التغيير يعكس طموح الباحث في التغيير والتحديث[2].

بدأ عز الدين المناصرة كتابه بمناقشة المدرستين الفرنسية والأمريكية، ووصل إلى أنّ تطور المدرسة الفرنسية كان بطيئا بسبب انشغالها بالبحث التاريخي الخارجي للنص.

أمّا المدرسة الأمريكية فيرى أنّها تعزل النص عن امتداده الاجتماعي وتعتبر أن الإشعاع بداخله، ثم يتساءل عن الحل.

بيّن أنّ القراءة الشاملة هي التي تنهض بدراسة النصوص "فالأدب المقارن يدرس النصوص ويقرأ علاقاتها الداخلية وإشعاعاتها الاجتماعية بما يخدم إضاءة النصوص وإضاءة العلاقات بينها، وليس بما يخدم فكرة التمايز المقصود"[3] وبذلك يكون الحل

---

1 – الكتاب صادر عن دار الكرمل، عمّان 1988م.

2 – ينظر، علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة 2009م.

3 – ينظر، عز الدين المناصرة: مقدمة في نظرية المقارنة، دار الكرمل، ط1، الأردن 1988م، ص 65.

المنهجي الجديد هو "تشجيع دراسة عملية الإبداع الأدبي مرتبطة بخصوصيتها النسبية في النص وبالمبدع ومرتبطة بالخارج الذي ولد فيه النص وأهم من ذلك دراسة العلاقة الديالكتيكية في العملية كلّها"[1]. يرفض د. عز الدين المناصرة فكرة تسلط المؤثر واتخاذه نموذجا لأنّ الأصل أنّ المؤثر قد تأثر بما سبقه أيضا وحوله نسبيا إلى عمل جديد.

يرى أنّ المنهج الذي يهتم بداخلية النص ويعترف باجتماعية هو الأقرب إلى الأدب المقارن، واقترح تسمية "نظرية مقارنة النصوص" كأحد فروع نظرية المقارنة الشاملة[2].

يرى الباحث أنّ فعل المقارنة يجب أن يكون بعيدا عن أي اعتبار لأي حاجز لغوي أو قومي، كما أنّ مجال المقارنة مفتوح بين النتاجات الإبداعية دون تحديد نوعها.

قدّم المناصرة دمجا لمختلف الحقول، ذاك الدمج يقوم على نظرية المثاقفة حيث يصبح الاستشراق وقراءة التفاعل الثقافي مع الآخر من فروعه، وينتهي بالقول بتشكل نظريات المقارنة من فرعين هما :المثاقفة النظرية ومقارنة النصوص (النقد المقارن).

ما يعاب على أبحاث الدكتور المناصرة أنّ منهجيته غير واضحة، وبالرغم من أنّها حاولت تجسيد رؤية عربية في الأدب المقارن تفتقر منطلقاته النقدية للانسجام فيما بينها مما أدّى إلى عدم وضوح نسق منهجي دقيق يسير عليه الأدب المقارن العربي ومحاولاته كانت جزءًا من عملية نقل منهج قديم سنّته مدارس سابقة، إلى رؤية منفتحة على مستجدات النقد الحديث. وفي نفس السياق نجد د. أحمد عبد العزيز[3] الذي أصدر كتابا تحت عنوان "نحو نظرية جديدة في الأدب المقارن"[4]. يعتبر أهم أعماله النقدية، من خلال طرحه حاول تجديد منهج الأدب المقارن.

---

1 – المصدر نفسه ص 65.

2 – المصدر نفسه ص 37.

3 – للكاتب أحمد عبد العزيز عدّة مؤلفات أهمها قضايا المشرق العربي عند الشعراء الإسبان 1989م، المغرب العربي في الشعر الإسباني 1989م، ترجمة لكتاب الأدب المقارن 1995م.

4 – الكتاب صادر عن المكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2002م بجزأين، الجزء الأول عنوانه البحث عن النظرية، والجزء الثاني استراتيجيات المقارنة.

حوى كتابه أصول وأبعاد أزمة الأدب المقارن في الجزء الأول من مقدّمة كتابه. الفصل الأول كان شرحا لمشروعه، وضّح المفردات التي استخدمها في مشروعه المقترح لتطوير الدرس المقارن[1]، بدأ بمفهوم الشعرية لينتقل إلى مفهوم النص وبيّن الفرق بينه وبين العمل الأدبي، وصولا إلى مصطلح جامع النص أي أنّ الباحث انطلق من عند "تودوروف" ثم "رولان بارت" ويتابع مصطلحاته حتى ينتهي عند "جيرار جينات".

الجزء الثاني من كتابه كان تطبيقيا، مقارنات الدكتور أحمد عبد العزيز بنيت على نظرية التناص، حاول أن يشرح كل ما يتعلق بالتناص والمقارنة الأدبية.

ما يلاحظ على الباحث استيعابه لمنطلقاته النقدية أي أنّه على دراية بمستجدّات الساحة النقدية، وهذا ما يحتاجه الأدب المقارن، مع شرط الالتزام بالمنهجية المقارنة وعدم مزجها مع منهجية النقد.

3 – مساهمة الدكتور محمد عباسة في الدرس العربي المقارن:

قام الدكتور محمد عباسة بجهود كبيرة من أجل وضع أسس متينة وصحيحة لإرساء الدرس الأدبي المقارن العربي، وذلك كان من خلال دراساته التي بدأها منذ ثمانينات القرن الماضي.

لدى الدكتور محمد عباسة بحوث مطولة تخص الأدب المقارن العربي، نشر تلك البحوث في شكل مقالات متعددة في مجلات محلية ودولية وباللغتين العربية والفرنسية، تناول فيها علاقة الأدب المقارن بالترجمة وبالأدب الصوفي، تمحورت بحوثه عن الموشحات والأزجال الأندلسية وكيف تأثر شعراء التروبادور وذاك في كتابه الذي سأتناوله إلى جانب مقالاته.

---

1 – الفصل الأول كان بحثا مقدما إلى مؤتمر الأدب المقارن المنعقد برعاية الجمعية المصرية للأدب المقارن عام 1995م، ينظر، نحو نظرية جديدة في الأدب المقارن، ج1، (البحث عن النظرية).

أ – من خلال الدراسات الأدبية:

**** كتاب الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور لـ: د. محمد عباسة:**

بطاقة قراءة:

الطبعة الأولى: 2012م

عدد الصفحات: 350 صفحة

المقياس: 24 x 17 cm

الناشر: دار أم الكتاب للنشر والتوزيع مستغانم، الجزائر.

واجهة الكتاب: كتاب غلافه يحمل درجتين من اللّون الأخضر به إطار بدرجة لون أقل مزخرف برسومات من الزليج الجزائري. في أعلى غلاف الكتاب اسم المؤلف، وفي وسطه عنوان الكتاب كتب باللّون الأسود وفي أسفل الكتاب توجد دار النشر.

الورقة الأولى تحمل اسم المؤلف، عنوان الكتاب ومعلوماته، أمّا الصفحة التي تليها حملت إهداء الدكتور عبّاسة.

وما تلاها كان عبارة عن أبيات شعرية لابن خفاجة.

الغلاف الخلفي للكتاب: حمل عنوان الكتاب مكتوب بخط أسود، كما ضمّنه لمحة يمكن اعتبارها موجز أو ملخص لكتابه، مكتوب باللّون الأبيض، أيضا وضع صورته وترجمة عن حياته.

الفهرس: جاء الفهرس في آخر الكتاب.

قسّم المؤلف كتابه إلى عدّة عناوين رئيسية تنضوي تحتها عناوين فرعية هي:

– مقدّمه

نشأة الشعر الأندلسي

1 – الشعر في عصر الولّاة

2 – الشعر في عصر الإمارة

3 – الشعر في عصر الخلافة

4 – موضوعات الشعر الأندلسي

5 – التجديد في الشعر الأندلسي

نشأة الشعر المتعدد القوافي

1 – تعدد القافية في الشعر العربي

2 – الأراجيز والمسمطات

3 – القصائد الحوارية

الموشحات الأندلسية

1 – الموشح لغة واصطلاحا

2 – أصل الموشح

3 – مخترع الموشحات

4 – بناء الموشح

5 – أوزان الموشحات

6 – لغة الموشحات

7 – أغراض الموشحات الأندلسية

الأزجال الأندلسية

1 – الزجل لغة واصطلاحا

2 – عوامل ظهور الزجل

3 – مخترع الزجل

4 – بناء الزجل

5 – أوزان الزجل

6 – لغة الزجل

7 – أغراض الأزجال الأندلسية

ملخص الكتاب:

استهل بداية عمله بمقدّمة كتابه التي تحدّث فيها عن بلاد الأندلس في القرون الوسطى ومكانتها، تناول حضارة الأندلس وأطوارها، كما شرح بحثه المتعلق بدراسة الموشحات والأزجال الأندلسية باعتبارهما من الفنون المستحدثة عند الأندلسيين كما بيّن تأثر شعراء التروبادور جنوب فرنسا بهذين اللّونين.

نشأة الشعر الأندلسي

1 – الشعر في عصر الولاة:

الأندلس كانت عبارة عن أعاجم اختلطوا بالعرب الفاتحين، بدأ المسلمون بعد الفتوحات الإسلامية ببناء المساجد، ونشر القرآن الذي كان مصدرا للثقافة العربية الإسلامية،

مع انتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية بسرعة وظهرت الثقافة الأندلسية التي كانت مزيجا بين عادات وتقاليد الوافدين من المشرق العربي والبربر الوافدين من شمال إفريقيا.

في عصر الولاة انشغل العرب بالفتح ومواجهة الاضطرابات والفتن، كان الشعر في تلك الفترة ضئيلا أمّا من ناحية الخصائص فهو شعر مشرقي لأنّ الشعراء كانوا من المشرق العربي باستثناء "طارق بن زياد".

وعلى العموم وإن اختلف الشعر الأندلسي عن العربي المشرقي في المواضيع، فإنّه يعدّ من ديوان الشعر العربي.

2 - الشعر في عصر الإمارة:

تأسست الإمارة بالأندلس عام (138هـ-755م) على يد "عبد الرحمن الداخل"، الفار من العباسيين، وصل للأندلس في وقت العصبية والفتن فقرّب المسلمين وأسس جامع قرطبة الذي اعتبر انطلاقة للثقافة الأندلسية.

ظهر الجيل الأول من الأدباء الأندلسيين في هذه الفترة، كما نظم الأمراء الشعر كقول الأمير عبد الرحمن الداخل في نخلة رآها في حديقة قصره[1]:

يا نخلُ أنت غريبة مثلي * في الغرب نائية عن الأصل
فأبكى وهل تبكي مُكبّسة * عجماء لم تطبع على خبل

في عهد الأمير عبد الرحمن الأول عاش الشاعر أبو المخشي التميمي هو أحد فحول الشعراء الذين قدِموا من المشرق للأندلس، كتب في المدح والهجاء. كما كتب الأمير الحكم بن هشام حفيد عبد الرحمن الداخل الشعر، وكان شاعرا وفارسا.

ومن شعراء تلك الفترة يحي الغزال، عبد الله بن عبد العزيز القرشي، والأمير عبد الله هو آخر الأمراء كان شاعرا وأديبا بليغا، بصيرا باللّغة من شعره قوله:

ويحي على شادنٍ كحيل * في مثله يخلَعُ العِذارُ

---

1 - د. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، طـ1، مستغانم، الجزائر 2012م ص 5-11 بتصرف.

كأنما وجنتاه ورد * خالطه النُّور والبَهارُ
قضيب بان إذا تثنّى * يُدير طرفا به أحوارُ

أيضا نجد الشاعر سعيد بن جودي الذي مثّل صورة الشاعر المثالي، كان فارسا شجاعا ومُحبّا ذليلا، تفرد بعشرة خصال في زمانه: الجود والشجاعة والفروسية والجمال والشعر والخطابة والشدّة والطعن والضرب والرماية.

برزت في عصر الإمارة شخصية المرأة الأندلسية الشاعرة، نجد الشاعرة حسّانة التميمية بنت أبي المخشي، تأدبت على يديه.

اتسم الشعر في عهد الأمارة بالتجديد والميل إلى العاطفة، أواخر عهد الإمارة إبتعد الشعراء عن التقليد فبرزت شخصيتهم في شعرهم حتى اخترعوا الموشحات وانتشرت بفضل انتشار الشعر والغناء في المجتمع الأندلسي(1).

3 - الشعر في عصر الخلافة:

بدأت الخلافة على يد عبد الرحمن الثالث الذي لقّب نفسه بالخليفة (316هـ-929م) ولأوّل مرّة في تاريخ الدولة الإسلامية ظهر ثلاثة خلفاء مستقلين في آن واحد :الخليفة العبّاسي في بغداد، الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في مصر، والخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في الأندلس.

عمل عبد الرحمن الناصر على توحيد الأندلسيين في عهده ازدهرت الأندلس في شتّى الميادين حتى سُمي بالعصر الذهبي، من أهم أعماله: قصر الزهراء وجامعها الذي بناهما.

جمع الحكم الثاني ابن عبد الرحمن الثالث الكتب النادرة من كافة البلاد العربية. في هذه الفترة ظهرت الكتب النثرية القيّمة

ولعلّ أشهرها كتاب "الحدائق" لأبي عمر بن فرج الجيّاني جاء بعده ابن حزم القرطبي صاحب كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألّاف" وابن عبد ربّه صاحب كتاب "العقد" كما له شعر كثير لم يصلنا منه إلّا القليل وقيل أنّه كان من أوائل الوشّاحين، غير أنّ موشحاته لم

1 - د. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص 11-20 بتصرف.

تصلنا أيضا.

تميّزت قصائد فترة الخلافة باتّخاذها للطبيعة موضوعا لها، وصفها الشعراء بأروع المعاني والصور ومن أولئك الشعراء نجد : سعيد بن فرج، ابن هانئ الأندلسي الذي كان له مكانة كبيرة بالأندلس، جهور بن أبي عبده أبو الحزم الوزير، يوسف بن هارون...

تطورت الموشحات على يد يوسف بن هارون الرمادي واشتهر في تلك الفترة ابن هانئ الأندلسي الذي لقّب بـ: متنبي المغرب.

في عصر الخلافة انتشر الشعر وخرج من البلاط للعامة، وبلغ مرحلة متميزة من التطور، كان للشعر وقتها اتجاهين:

– الأول: الاتجاه المحافظ في صورة جديدة ابتعدوا فيه عن التقليد الحرفي للمشارقة.

– الثاني: الاتجاه المستحدث الذي انفرد به الأندلسيون دون غيرهم، تلك العوامل مجتمعة أدّت إلى ظهور اتجاه متحرر على يد مقدّم والرمادي وغيرهما(1).

4 – موضوعات الشعر الأندلسي:

تميّز الشعر الأندلسي بتنوّع أغراضه، وجمال أسلوبه، ورقة ألفاظه، غلب عليه الخيال، واعتمد على عذوبة اللفظ ولم يرتكز على المعاني لأنّ أكثره صالح للغناء.

عالج الشعر الأندلسي الغزل والنسيب، هذا الغرض نظم بكثرة في مجالس اللّهو التي لا تخلو من الغناء وكذا بسبب حياة الترف وكثرة الجواري، كما وصف الشعراء الأندلسيون كل شيء رأوه خاصة الطبيعة. تغنّى الشعراء بالخمر ووصفوا مجالس اللّهو(2).

أما باب المدح فكان موجها للأمراء، والهجاء كان ضعيفا بالنسبة للأغراض الأخرى يكاد يكون معدوما في أيام الخلافة.

اشتهر الأندلسيون أيضا بشعر الحماسة وتصوير الملاحم البطولية، وأشهر شعراء الفروسية هو سعيد بن جودي، أمّا الفخر فهو أقل بكثير من الأغراض الأخرى ولم يظهر إلّا

1 – د. محمد عباسة: المرجع السابق، ص 21–28 بتصرف.

2 – المرجع نفسه، ص 29 بتصرف.

في عصر الإمارة في أيامها الأولى.

كما نظم الأندلسيون شعر الرثاء، ونظموا في رثاء المدن بعد سقوط دولة بني أمية وسقوط الأقاليم الأندلسية، كما ظهر أيام احتضار الدولة الأندلسية لون جديد هو الشكوى والاستعطاف والاستنجاد، وكل هذه الأنواع تكاد تتصل بالرثاء لما فيها من بكاء على الماضي وحسرة على الواقع(1).

5 - التجديد في الشعر الأندلسي:

في عصر الولّاة تميز الشعر بالتقليد، فنظم الشعراء على منوال القصائد المشرقية تأرجح الشعر في عصر الإمارة بين التقليد والتجديد، وأبرز مظاهر التجديد شعر الأراجيز التي سجلت أحداث المجتمع الأندلسي منها أرجوزة يحي بن الحكم البكري التي روت تاريخ الأندلس منذ دخول طارق بن زياد حتى عهد عبد الرحمن بن الحكم.

ظهر المجددون في عهد الخلافة الأموية بالأندلس ومن أبرز مجددي تلك الفترة ابن هانئ الأندلسي، وفي عصر الطوائف برز ابن خفاجة الذي أبدع في وصف الطبيعة وتصويرها. لقد تفنن الشعراء الأندلسيون في استخدام الألفاظ وتنويعها وحتى اختراعها بما يتناسب وحياتهم الغنائية.

ابتكر الشعراء في عهد الناصر الأوزان الموسيقية نتيجة ذلك تطور الشعر وظهر الموشح أو فنّ التوشيح، أدخلت ألفاظ عامية وأعجمية في القسم الأخير من الموشحة كما استحدث فن الزجل الذي نظم على منوال الموشح لكن بلغة خالية من الإعراب، وكل ذلك ظهر نتيجة اختلاط الأندلسيين وتسامحهم فيما بينهم، الأمر الذي أفضى إلى هذا التنوع الثقافي(2).

نشأة الشعر المتعدد القوافي:

---

1 - د. محمد عباسة: المرجع السابق، ص 30 بتصرف.

2 - المرجع نفسه، ص 30-32 بتصرف.

1 – تعدد القافية في الشعر العربي:

الشعر العربي هو أول نظم عرف القافية في التاريخ، وسار على هذا النمط الشعراء في المشرق والمغرب. لقد مرّ الشعر العربي منذ العصر الجاهلي بتطورات مسّت البناء الداخلي للقصيدة، ولم يول القدامى اهتماما بتلك التطورات واعتبروها شعرا عابرا.

كان امرؤ القيس يصرّع أكثر من بيت في القصيدة الواحدة ز هذا ما عدّه ابن رشيق تكلّفا، تلك المقطوعات المصرّعه هي من مهدت الطريق لظهور شعر الرجز، ليتطور الرجز على مزدوجات وقصائد مقطعية. سمّيت تلك المحاولات عند البلاغيين التسهيم، تختلف في القصيدة المسهّمة القوافي الداخلية عن الأعجاز.

لم يهتم العرب بمثل هذه الأشعار الخارجة عن المألوف واعتبروها حالات عابرة إلى أن ظهرت الأراجيز المزدوجة في العصر الأموي وهو نظم لا يختلف عن القصيدة إلّا من حيث القافية، وهذا يتمثل في المرحلة الأخيرة من تطور الرجز إذ يكون لكل جزأين منه قافية معيّنة هذا النوع الشعري ظهر في الشعر الفارسي وكان معروفا باسم "الدوبيت" أي الشعر المزدوج الأقسمة، يكون فيها لكل بيتين قافية واحدة، إلا أنّ الشعر المزدوج عُرف عند العرب قبل أن يظهر الدوبيت الفارسي[1].

2 – الأراجيز والمسمطات:

تحدّث الدكتور محمد عباسة في هذا الجزء من كتابه عن الأراجيز وأنواعها (مثلثة أو مربعة أو مخمسة) وأعطى أمثلة عن ذلك، كما تحدث عن المسمطات وذكر أنواعها (الثلاثيات، الرباعيات، وأكثرها الخماسيات). يرى الدكتور محمد عباسة أنّ المخمسات كانت أول المسمّطات التي ظهرت للوجود تلتها الرباعيات أمّا الثلاثيات فكانت نتيجة تسميط المزدوجات، المسمطات في بدايتها كانت مقطوعات منفردة ووجودها في الشعر الجاهلي

1 – المرجع نفسه، ص 33-37.

دليل على أنّها سبقت الأراجيز [1].

3 – القصائد الحوارية:

القصائد الحوارية كالمناظرة والمساجلة فهي أيضا من الشعر المقطعي اذا زاد عدد أبيات كل مقطوعة منها على اثنتين تكون إمّا موحدة القافية أو متعدّدة القوافي، يتناوب في نظمها شاعران فأكثر، ظهر هذا النوع من النّظم عند العرب منذ العصر الجاهلي، ينظم هذا الشعر حضوريا أو بالمكاتبة.

أمّا ما ينظم بالمكاتبة فلا يزيد عدد النّاظمين عن اثنين في الغالب، وقد يتناوب على نظمها شاعران كما تحدث بين شاعر وشاعرة، وأكثر ما كتب في هذا النوع بين امرأة ورجل فدار حول الغزل والهجر والعتاب. من شعراء المساجلات في بلاد الأندلس نجد ابن زيدون وولّادة، أبي جعفر بن سعيد وحفصة الركونية. هذا النوع من القصائد تكون مقطوعاته متساوية الأقسمة أو متفاوتة أحيانا، كما تكون القوافي متماثلة مع قوافي مقطوعة أخرى أو مختلفة، يمكن أن تأتي على وزن واحد كما يمكن أن تختلف الأوزان.

أهم الشعر المتعدد القوافي عند العرب فهو بلا شكّ الموشّحات والأزجال التي ظهرت في بلاد الأندلس، لهذا النوع من شعر ألوان من القافية يصعب حصرها لكثرتها وتنوعها، ابتكرها الأندلسيون لضرورات اجتماعية وثقافية.

يمكن القول أنّ الشعر المتعدد القافية ظهر عند العرب منذ العصر الجاهلي بظهور الشعر المزدوج الأقسمة، إلى أن ظهرت الموشحات والأزجال في الأندلس، سميت بالشعر المقطعي لأنّها لا تعتمد على قافية واحدة[2].

الموشحات الأندلسية:

1 – الموشح لغة واصطلاحا:

الموشح في اللغة من الفعل وشّح أي لبس، واستعيرت التسمية من وشاح المرأة.

1 – د. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية، ص 37-45.

2 – المرجع نفسه، ص 45-46.

وسمى بالموشح لأنّ أقفاله أبياته وخرجته كالوشاح للموشحة (ذكر الكاتب تعريفات لغوية عديدة).

– تعدّدت تعاريف الموشح اصطلاحا، ذاك التعدد لا يعني أنّه لون شعري قائم بذاته لا علاقة له بالشعر العربي، بل هو نوع منه يختلف عنه في تعدد القوافي والأوزان وخروجه من الفصيح إلى العامي، وإلى الأعجمي أحيانا[1].

2 – أصل الموشح:

الموشح عربي الأصل، أندلسي النشأة. هو نوع من أنواع الشعر العربي، حاول المستشرقون الإسبان تغريبه لأنّهم يرون أنّه تأثر بأغاني أعجمية خلال نشأته واستدلوا ببعض الخرجات العجمية في الموشح متجاهلين تلك التي كتبت بعامية أهل الأندلس.

والصحيح أنّ الوشاحين كتبوا الخرجات بلهجات مختلفة عن لغة أقسام الموشحة لتمييزها عن بقية الأقفال في الموشحة، ولم يقتبس الوشّاحون أبياتا ولا أوزانا أعجمية[2].

3 – مخترع الموشحات:

ذكر صاحب الكتاب عدّة آراء حول أول وشّاح وخلص إلى أنّ "محمد بن محمود" قد سبق "مقدم بن معافى" إلى هذا الفن، لأنّ "ابن بسّام" – في رأي الكاتب – كان يلتزم الدقّة في تناوله للأخبار، كما أنّه أقرب عهدا لأولئك الشعراء.

ظلت الموشحات فنا مسموعا لأكثر من قرنين، ضاع منها الكثير ولم يصلنا سوى القليل[3].

5 – بناء الموشح:

شرح الدكتور محمد عباسة تكوين الموشح، وعرّف بناءه بأنّه وحدات فنية محكمة يتبعها الوشاح من أجل تأدية الإيقاع، ذكر لنا عناصر تكوين الموشح، وأسهب في شرحها

1 – د. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية، ص 47–51 بتصرف.

2 – المرجع نفسه، ص 51–55 بتصرف.

3 – المرجع نفسه، ص 55–61 بتصرف.

تلك العناصر هي: المطلع، البيت، القفل، الجزء، الخرجة[1].

5 – أوزان الموشحات:

يُبنى البيت الشعري على الوزن والإيقاع، والإيقاع نسبي يختلف من شخص لآخر، أمّا الوزن فله قواعد تختلف باختلاف الأمم، ذاك التنويع في الوزن والترتيب الجديد للتفاعيل واختلاف القوافي في البيت والبحر الواحد، نتج عنه أوزان جديدة ذات إيقاع عربي، خرجت عن أوزان الخليل ولم تخرج عن أوزان العرب، فالموشحات الأندلسية زخرف حضاري وتجديد في الترا ث العربي[2].

6 – لغة الموشحات:

المجتمع الأندلسي كان مزيجا بشريا فإلى جانب عرب المشرق والمغرب العربيين، والسكان الأصليين (مسلمين ومستعربين) نجد المولدين واليهود، كل ذلك المزيج كان له لغته، لكن العربية كلغة هي الطاغية رغم أنّها لم تقض على اللّهجات.

الشعر الأندلسي كان يُنظم بالعربية الفصحى، باستثناء الموشح الذي كُتبت خرجاته بالأعجمية أو العامية وليست كل الخرجات بل بعضها، وما وصل إلينا كان مكتوبا باللغة العربية الخالصة وهذا دليل أنّ لغة الموشح هي العربية[3].

7 – أغراض الموشحات:

لم تفارق طبيعة الأندلس مخيلة الشعراء الذين سبقوا الوشاحين، تناول فن الموشحات أغراض الغزل والخمر ووصف الطبيعة والمدح، كما تناول الأغراض الدينية والصوفية والرثاء والهجاء.

من أشهر الوشاحين نجد: الأعمى التطيلي، ابن سهيل الإشبيلي، ابن بقي الطليطلي،

1 – المرجع نفسه، ص 61–73 بتصرف.

2 – المرجع نفسه، ص 73–82 بتصرف.

3 – المرجع نفسه، ص 82–85 بتصرف.

لسان الدين بن الخطيب، محي الدين بن عربي... وغيرهم، فيمكن القول إنّ الموشحات اشتملت على أغلب الأغراض التي عرفها الشعر العربي التقليدي، وطوّروا فيه وفي موضوعاته وفي الأغراض التي عرفها الشعر العربي التقليدي، وطوّروا فيه وفي موضوعاته كما ابتكروا أخرى[1].

الأزجال الأندلسية:

1 - الزجل لغة واصطلاحا:

الزجل في اللغة هو الصوت باختلاف مصادره، والزجل أطلق على الشعر المُطاوع للغناء (ذكر الكاتب تعريفات لغوية عديدة).

أمّا في الاصطلاح فهو نوع من النظم لا يشبه القصيدة من ناحية الإعراب والقافية كما أنّه لا يشبه الموشح من حيث الإعراب ولا يختلف عنه من جانب القافية إلّا نادرا، عدّه الدارسون موشحا ملحونا ولكنّه ليس شعرا ملحونا، لغته ليست معرّبة وليست عامية بل لغة مهذّبة[2].

2 - عوامل ظهور الزجل:

الزجل هو الفنُّ الثاني المستحدث في الأندلس، اختلفت آراء القدامى حول نشأة هذا الفن، واتّفقوا أنّه وليد البيئة الأندلسية.

أول من درس الزجل هو صفي الدين الحلي في كتابه "العاطل الحالي والمرخص الغالي". لقد اختلف المحدثون حول مصادر الزجل واتّفقوا أنّه أندلسي، وهناك من يقول أنّه نشأ نتيجة تقليدٍ للموشح، وهناك من يرى أنّه يرجع للأغنية الشعبية.

اتفق المؤرخون العرب أنّ الموشح نشأ قبل الزجل، كما يرون أنّ من نظم الزجل لم يكونوا عواما بل كانوا من مثقفي المجتمع، أي هم من الطبقة الوسطى للمجتمع وليس من عوامها. لقد ازدهر الزجل في القرن السادس للهجرة (6هـ) بسبب خروج الأزجال من

1 - د. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية، ص 85-104 بتصرف.

2 - المرجع نفسه، ص 105-106 بتصرف.

المجالس والحواضر إلى الطرقات والأسواق[1].

3 - مخترع الزجل:

اختلف القدامى فيمن نظم الزجل أول مرّة واختلافهم ذاك سببه عدم اهتمام مؤرخي الأدب بالزجل عند ظهوره لأول مرّة في الأندلس. ما وصل إلينا كان من أواخر القرن الرابع للهجرة (4هـ) لكنّها أهملت فنُسيت أسماء من نظموها، لذا لا يُعرف من نظمه لأول مرة. ما وصل إلينا كان من القرن الخامس للهجرة (5هـ) لابن راشد وابن نمارة[2].

تحدّث صاحب الكتاب في جزئه هذا من كتابه عن بناء الزجل الذي يرى أنّه لا فرق بينه وبين الموشح، وهذا دليل أنّ الزجل ما هو إلا تطور للموشح.

تناول أيضا الأوزان حيث يرى أنّها كانت متنوعة الوزن، لكنّها تبقى أوزانا عربية الأصل، وليست أوزان أغان شعبية.

تطرّق للغة الأزجال التي كانت سهلة يفهمها فئة واسعة من المجتمع الأندلسي كما كانت لغة مهذبة.

أيضا تحدث عن أغراض الزجل التي لم تختلف عن الأغراض الشعرية العربية من غزل ومدح ورثاء... إلخ، هناك ما كان مقلّدا وهناك ما طوّروا فيه وهناك ما استحدثوه شأنه شأن الموشح[3].

الوشّاحون والزجالون:

1 - الوشّاحون: سبق للكاتب الحديث عن نشأة الموشح، وذكر الوشاحين الذين ساهموا في بدايات الموشحات، في هذا الجزء أورد أهم الشعراء الوشاحين في بلاد الأندلس والمغرب منذ النشأة والى غاية عهد النضج والازدهار منهم :محمد بن محمود القبري، مقدم بن معافى، ابن عبد ربه، عبّادة بن ماء السماء، ابن الفضل... الخ، ذكر الدكتور عباسة عددا لا بأس

---

1 - د. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية، ص 106-114 بتصرف.

2 - المرجع نفسه، ص 114-119 بتصرف.

3 - المرجع نفسه، ص 119- 160 بتصرف.

به من الوشاحين كما أعطى أمثلة عن موشحاتهم.

2 – الزجالون: سبق وأن تحدث الكاتب عن الأزجال ونشأتها، ذكر لنا هنا أهم الزجالين وأشهرهم كما كتب قصائد لهم منهم :ابن راشد، ابن قزمان، ابن الزيات، ابن صارم... إلخ.

3 – تناول الدكتور عباسة مصادر الموشحات والأزجال، ذكر لنا أهم المصادر المشرقية والمغربية، إضافة إلى الدواوين التي وصلتنا، اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– الدراري السبع الموشحات الأندلسية لـ: بطرس كرامة

– الموشحات والأزجال لـ: جلول يلّس والحفناوي أمقران

– بلوغ الأمل في فن الزجل لـ: ابن حجّه الحموي

– عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لـ: ابن أبي أصيبعة

– الدر المكنون في السبع الفنون لـ: لابن إياس[1].

تأثير الشعر الأندلسي في شعر التروبادور:

في الجزء الأخير من الكتاب اهتم المؤلف بشعراء **التروبادور** (Troubadours) وتأثرهم بالموشحات **و**الأزجال، قام بدراسة أعمال أهم شعراء التروبادور وقسمها من ناحية البناء والموضوعات والخصائص والأنواع.

1 – البناء الشعري:

* نظام القافية: لم يعرف الشعر الأوروبي نظام القافية إلا بعد مطلع القرن الثاني عشر للميلاد (12م) وهو العصر الذي ظهر فيه القافية لأول مرة في الشعر الأوكيسانتي (Poésie occitane) الذي نظمه شعراء التروبادور جنوب فرنسا ويعدّ غيوم التاسع (Guillaume IX) أول شاعر من الجنوب الفرنسي ينظم بنظام القافية بكل أنواعها، كما استخدم الشعراء القصائد المربعة والمخمسة وغيرها من أشكال المسمطات العربية والموشحات والأزجال.

---

1 – المرجع نفسه، ص 161–264 بتصرف.

* بناء القصيدة: التزم شعراء التروبادور بالبناء العربي للقصيدة، فاستهلوا قصائدهم بالمطلع واستخدموا مختلف الأشكال الاستهلالية، كما اتبعوا نظام البيت وهي نفس التسمية التي نجدها في الموشحات والأزجال.

– القفل: غيوم التاسع أول شاعر أوروبي استخدم الأقفال في الشعر مع تغيير طفيف.

– الخرجة: لم يعرف الشعر الأوروبي الخرجة قبل الشعراء التروبادور، ترد الخرجة بأشكال مختلفة لكن لم تخرج عن نطاق الشكل الأندلسي.

* الشكل الحواري: هي المساجلات التي تختلف شكلا ومضمونا عن الأشعار الأوروبية الحوارية، شرط قصيدة المساجلة مطابقة الشاعر الثاني للأول من حيث القافية والوزن وعدد الأبيات، يعدّ التروبادور رامبو دورانج (Raimbaut d'Orange) أكثر الشعراء الذين نظموا المساجلات.

* الاستعمال اللغوي: إلى جانب اللغة الأوكسيتانية أو لغة أوك التي نظم بها التروبادور قصائدهم، استعمل بعض الشعراء مفردات أجنبية في شعرهم، لغتهم أحيانا غير مفهومة، قلدوا العرب في شكل القصيدة، كما قلدوهم في استخدام الألفاظ خاصة ما يوقّر المرأة.

2 – الموضوعات الغزلية: استنسخوا غزلهم من الشعر العربي، قلدوا العرب في احترام المرأة وتقديرها والتذلل إليها وذاك ما لم تعرفه أوروبا سابقا، كتبوا في الحبية المجهولة والقصيدة الفجرية،... وكلّها مواضيع مستمدة من الشعر العربي الأندلسي[1].

3 – خصائص شعر الغزل:

* شكوى الفتاة: ورد في شعر التروبادور أمثلة عن بكاء المرأة على فراق الحبيب وذاك كان منتشرا في موضوعات الموشحات التي تكاد تتفرد بها.

* الشخوص: تتمثل في الرقيب الذي يحرس المعشوقة ويمنعها من لقاء حبيبها، والموشحات والأزجال لا تفارقها شخصية الرقيب.

---

1 – د. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية، ص 265–296 بتصرف.

* السرّ والكتمان: غيوم التاسع أول شاعر استخدم الألفاظ الملغزة لمخاطبة سيدته، والغرض هو التكتّم على اسم المعشوقة الحقيقي، وهذا ما فعله العرب منذ القدم ونقله التروبادور عن العرب الأندلسيين.

* الخضوع والطاعة: هذه الفكرة ليست أصيلة في الشعر الأوروبي، لأن مكانة المرأة في العصور الوسطى لم تكن بتلك الأهمية، وأخذوا تلك الفكرة عن العرب.

* الوفاء والتضحية: فكرة العهد والوفاء للحبيبة لم يرثها الشعر الأوكسيتاني عن الشعر الأوروبي القديم، بل ظهرت مع التروبادور لأنّهم قبل ذلك لم يعرفوا التضحية من أجل الحب.

4 – وصف الطبيعة: جاء موضوع الطبيعة متصلا بالحب واستهل الشعراء قصائدهم الغزلية بمقدّمات ربيعية، فالربيع عندهم يمثل الحب أمّا الشتاء فليس ملائما للحب بل هو رمز للأحزان[1].

5 – الشعر الديني: ظهر هذا النوع قبل الشعر الأوكسيتاني على شكل مدائح نظمها رجال الكنيسة دون مراعاة الوزن والقافية، أمّا التروبادور فاختلفت آرائهم فمنهم من هاجم الكنيسة، كتب غيوم التاسع في هذا اللون الشعر وسخر من اللّغة اللاتينية كونها لغة الاستعمار والكنيسة.

6 – الشعر السياسي: كانت المنطقة الأوروبية غير مستقرة، وكلّما تعلق الأمر بالمسلمين اتّحدوا من أجل مهاجمتهم، استحدث الشعراء نوعا جديدا أسموه شعر الخدمات الذي تناول مواضيع عديدة ومنها الحرب والسياسة واختلفت آرائهم حسب انتمائهم، ورغم حقدهم على الكنيسة إلا أنّهم لم يغيروا نظرتهم لمسلمي إسبانيا، وشعرهم وحّد صفوفهم من أجل محاربة المسلمين.

لم يقتصر تأثير الشعر العربي على شعراء جنوب فرنسا فقط بل امتد إلى شمال

---

1 – المرجع نفسه، 297-318 بتصرف.

إسبانيا حيث تأثّروا بالموشحات والأزجال ونظموا على المقطوعات وكتبوا الملاحم على نظام الأراجيز التاريخية[1].

خاتمة الكتاب شملت أهمّ ما جاء في الكتاب فتحدّث عن بدايات الشعر الأندلسي، كما ذكّرنا بظهور الموشح وشعر الزجل لأوّل مرّة وكيفية نظمها والأغراض التي تناولتها وابتكرتها. ذكر أيضا موضوعات شعر التروبادور وكيف نقلوها من الشعر الأندلسي خاصة الموشحات والأزجال.

وأنا بدوري حاولت تلخيص الكتاب وذكر أهم ما جاء فيه، ولمن يريد معلومات موسعة فالكتاب عبارة عن موسوعة معلومات تخص الأزجال والموشحات وعليه العودة إليه.

ب - دراسات أخرى في الفلسفة والتصوف والرجمة:

**** ملخص مقالات الدكتور محمد عبّاسة:**

للدكتور محمد عباسة مقالات وأبحاث درس فيها علاقة الأدب العربي بالأوروبي، وكذا تأثير فلسفة الرشدية والتصوف الإسلامي على الفكر الأوروبي، كما تحدث عن كيفية انتقال المعارف العربية إلى أوروبا في القرون الوسطى سأحاول أن أذكر أهم ما جاء في مقالاته.

1 - نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية:

قام د. محمد عباسة بنشر مقالته بتاريخ 2004/06/01م في مجلّة حوليات التراث جامعة مستغانم، الجزائر، دار موضوع بحثه عن نشوء الأدب الديني عند العرب، والذي حدّد بدايته مع بداية الدّعوة المحمّدية على يد شعراء تبنّوا الدفاع عن الإسلام وتخصّصوا في مدح الرسول صلّى الله عليه وسلم. هذا النوع الشعري وإن كان موجودا من قبل إلا أنّه بلغ ذروته في عهد الإسلام.

بعد انتشار شعر المواعظ والمدائح الدّينية وشعر الزهد، وبعد احتكاك العرب بغيرهم

1 - المرجع نفسه، ص 318-338 بتصرف.

من الشعوب المجاورة بدأ اختلاط الثقافات وتداخلها وبدأت عمليات الاقتراض الثقافي وبالتالي وجود التأثير والأثر فظهر المذهب الصوفي عند العرب المسلمين، ونشأ شعر التصوف العربي الذي كان نتيجة تأثرهم بالغير، أخذوا ما يتناسب والشريعة الإسلامية وطوّروا شعر الزهد ليصبح شعر تصوف.

بعد اتساع بلاد المسلمين وتأسيس الأندلس وخروج الشعر من المشرق نحو المغرب والغرب استطاع الأندلسيون أن يطوروا الشعر والشعر الديني على وجه الخصوص ونتيجة التطور والرقي ذاع صيتوا شعرهم وخرج عن حدود دولتهم نحو أوروبا فتأثّر به شعراء أوروبا، الشعر الديني، شكلا ومضمونا وكتبوا على منواله[1].

2 – العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر:

نشأ الأدب المقارن في أوروبا خلال القرن التاسع عشر للميلاد، توسّعت دائرة دراساته وخرجت عن النّطاق الأوروبي لتشمل الآداب الشرقية والعربية. اكتشف الدارسون أوجه تشابه كثيرة بين الأدب العربي ونظيره الأوروبي، وخلصت البحوث الموضوعية أنّ الأدب الأوروبي القديم هو من تأثّر بغيره. حاول د. محمد عبّاسة في بحثه أن يتحرّى العلاقات الاجتماعية التي جمعت بين المسلمين العرب والإفرنج في القرون الوسطى، وخلص الباحث أنّ تلك العلاقات مكّنت الأوروبيين من التعرّف على الحضارة العربية والإسلامية والتأثّر بها في ميادين عديدة خاصة الأدب والفلسفة[2].

3 – حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي:

بدأ الباحث مقالته بذكر فضل الإسلام في نبذ العصبية وتوحيد العرب على أنّهم أمة واحدة لا قبائل متفرقة وكيف حاول الإسلام إرساء مبادئ التسامح والمحبّة والإخاء.

---

1 – د. محمد عباسة: نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع1، جوان 2004م، ص 7–22 بتصرف.

2 – د. محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع3، مارس 2005م، ص 7–19 بتصرف.

ذكر الدولة الأموية التي أحيت أخلاق الجاهلية من تعصب وطائفية وعرقية، وكيف شجعت شعر النقائض.

حدّثنا عن بلاد المغرب التي كانت بعيدة عن تلك الصراعات العرقية مذ عرفت الإسلام، وكيف تزوّج الأندلسيون بالإسبانيات وتغزّلوا بالنصرانيات. انتقل هذا النّوع من الشعر نتيجة الاحتكاك إلى جنوب فرنسا ونظم البروفنسيون على منواله نتيجة تأثرهم بشعراء الأندلس[1].

4 – الترجمة في العصور الوسطى:

قام الباحث د. محمد عبّاسة في دراسته هذه بتتبع حركة الترجمة التي ظهرت في أوروبا خلال القرون الوسطى، تحدّث عن نشوء الترجمة عند العرب وكيف تتلمذ علماء النصارى واليهود على يد المسلمين. تحدّث أيضا عن كيفية نقل المعارف العربية الإسلامية في جل المجالات من فلسفة وطب وعلوم وآداب وتاريخ إلى اللّغات الأوروبية.

ذكر أيضا فضل العرب في حفظ معارف أوروبا من الضياع والاندثار، كما ذكر أهداف الترجمة ومقاصدها ونواياها، واختلافها من أوروبي لآخر.

استنتج الباحث أنّ ازدهار حركة الترجمة كان بارزا في كل من شمال إسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا وجزيرة صقلّية بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر للميلاد، في وقت هجرة العلماء المسلمين من الأندلس لأوروبا هروبا من الموحّدين والمرابطين، كما ذكر أثر الترجمة في النهضة الأوروبية[2].

5 – اللّهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية:

تناول الباحث موضوع اللّهجات والشعر الأندلسي وكيف كُتب، ذكر لنا أنّ الشعر

1 – د. محمد عباسة: حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع4، سبتمبر 2005م، ص 7–22 بتصرف.

2 – د. محمد عباسة: الترجمة في العصور الوسطى، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع5، مارس 2006م، ص 7–17 بتصرف.

عند العرب ظهر خلال القرن الرابع للميلاد وكانت كل قبيلة تكتبه بلهجتها.

أواخر القرن الخامس للميلاد استطاع فحول الشعراء أن يوحّدوا اللّغة الشعرية فنظموا بلغة عربية فصحى وظلّ كذلك حتى عهد الدولة الأندلسية، حين ظهرت الموشحات والأزجال التي لم تلتزم بالفصحى التي تعدّدت فيها اللهجات وحتى اللغة الأعجمية.

دافع عن الشعر الأندلسي وأنّه عربي خالص وإن اختلفت لغته وذاك التطور الذي مسّه ما هو إلّا مرحلة من مراحل تطور الشعر العربي[1].

6 – التّصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر:

التصوف كان امتدادا لتيار الزهد الذي اتّصف به المسلمون، ومن عوامل انتشار الزهاد وشعر الزهد، القرآن الكريم والأحاديث النّبوية الشريفة التي دعت للعمل الدنيوي من أجل الآخرة.

بعد الفتوحات الإسلامية والاختلاط بين الأقوام والتأثير والتأثر الذي حصل بينهم دخلت عناصر جديدة من ديانات أخرى للإسلام، تطوّر الزهد نتيجة لذلك وأدّى ذاك التطور لظهور التيار الصوفي، اتصل المتصوفون بحب الذات الإلهية، وارتكز على العنصر العاطفي الذي تجلّى في الغزل وعناصره، وعلى العنصر الفكري المتمثّل في عفة النفس. ومن أبرز المتصوفين الإمام الغزالي، وابن الفارض، ومحي الدين بن عربي. اطلع الأوروبيون على التراث العربي الإسلامي وتأثروا به وممن تأثر بالصوفية الإسلامية وكتب على منوالها نجد المدرسيين السكولائيين وغيرهم[2].

7 – الفلسفة العقلانية عند ابن رشد:

حاول الدكتور محمد عباسة تفسير فلسفة ابن رشد ويبيّن آراءه ويوضح الحقائق

---

1 – د. محمد عباسة: اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع 9، سبتمبر 2009م، ص 7-23 بتصرف.

2 – د. محمد عباسة: التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع10، سبتمبر 2010م، ص 7-24 بتصرف.

الإيجابية في فلسفته، كما أبان عن الأسباب التي دفعت ببعض الفقهاء ورجال الدين المسيحي إلى تكفيره ومحاربة عقلانيته.

دافع ابن رشد عن الفلسفة والفلاسفة، وكان من معارضي آراء الغزالي، اتهم ابن رشد بالإلحاد بسبب أفكاره والحقيقة أنّه حاول التوفيق بين الشريعة والحكمة.

استفاد الأوروبيون خاصة من الفلسفة الرشدية، أمّا العرب فأهملوا العلوم العقلية بعد وفاة **ابن رشد**، وكان ذلك من بين أسباب انحطاط الحضارة العربية والإسلامية[1].

8 - الحروب الصليبية ونزعة الحب الكورتوازي:

تعتبر الحروب الصليبية من بين أهم عوامل استفادة الأوروبيين من العرب المسلمين ثقافيا، وموضوع الحب الذي اشتهر به العرب بكل موضوعاته.

يعتبر شعر الحب من أهم العناصر الثقافية التي تأثّر بها شعراء أوروبا بعد الاحتكاك بالعرب المسلمين.

وضّح د. محمد عباسة كيف دخل هذا النوع الشعري لأوروبا بعد أن كان غريبا عنها، وكيف رفع من قيمة المرأة ومكانتها بعد أن كانت بدون قيمة تذكر، كما استخدم الشعراء هذا النّوع للثورة في وجه الأقطاع والكنيسة التي حاولت بشتى الطرق محاربة الشعر الغزلي. ورغم كلّ ما تعرض له الشعر الغزلي من محاولات قتل إلا أنه استطاع أن يغير عادات المجتمع الأوروبي وقوانينه[2].

9 - العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى:

الاتصال الذي حصل خلال القرون الوسطى بين العرب والأوروبيين كان له أثر كبير في تطور الفكر الأوروبي، كل ذاك التطور حصل بعد اهتمام الأوروبيين بعلوم العرب بعد

---

1 – د. محمد عباسة: الفلسفة العقلانية عند ابن رشد، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع11، سبتمبر 2011م، ص 7-19 بتصرف.

2 – د. محمد عباسة: الحروب الصليبية ونزعة الحب الكورتوازي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع12، سبتمبر 2012م، ص 7-20 بتصرف.

احتكاكهم بالأندلسيين.

تعلّم الأوروبيون العربية والتحقوا بمدارس العرب ليتتلمذوا على يد شيوخها، كما اهتموا بترجمة المعارف العربية الإسلامية.

وضح الدكتور عباسة العوامل الرئيسية التي مكّنت العلماء الأوروبيين في القرون الوسطى من الاتصال بالثقافة العربية، تلك العوامل هي التي أدّت إلى تطور الفكر الأوروبي[1].

10 – مصادر شعر التروبادور الغنائي:

لا أحد ينكر معرفة الأوروبيين بالشعر منذ العصر اليوناني، غير أنّهم لم يعرفوا الشعر المقفى إلّا في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد وظهر هذا النوع في جنوب فرنسا. يعدّ شعراء التروبادور أوّل من نظم هذا الشعر الغنائي لذا عدّ الباحثون الجنوب لفرنسي بوابة عبور هذا النوع الشعري من الأندلس إلى أوروبا على يدي التروبادور.

تغزّل شعراء أوروبا بالمرأة ومجّدوها وكان ذلك عكس تقاليد المجتمع الأوروبي لأنّه لم يكن يحترم المرأة. ذاك النوع الشعري الذي ظهر في أوروبا يشبه إلى حدّ كبير الشعر الأندلسي وبالضبط الموشحات والأزجال[2].

11 – المدرسة العربية في الأدب المقارن:

تناول الباحث تاريخ ظهور الأدب المقارن في أوروبا واكتمال ملامحه وظهوره كمنهج علمي على يد الفرنسيين، ذكر أزمة الأدب المقارن التي فجرتها المدرسة الأمريكية وبالتالي ظهور اتجاه منافس للاتجاه التاريخي.

تناول الباحث أيضا الدراسات العربية المقارنة خاصة رواد النهضة الين سبقوا غيرهم

1 – د. محمد عباسة: العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع13، سبتمبر 2013م، ص 7–22 بتصرف.

2 – د. محمد عباسة: مصادر شعر التروبادور الغنائي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع14، سبتمبر 2014م، ص 7–27 بتصرف.

في مثل هذه الدراسات إلا أنّهم افتقدوا للمنهج.

حاول الدكتور محمد عباسة أن يحدد ملامح المدرسة العربية والدور الذي لعبته في الأدب المقارن(1).

12 - قصيدة الحب في شعر التروبادور البروفنسي:

بدايات الأدب الأوربي كانت متأثرة بآداب اليونان والرومان، واللغة السائدة كانت اللاتينية ولغة الكنيسة، وتلك اللغة لم تكن مفهومة لدى جميع الأوروبيين لذا كانوا بحاجة لأدب يعبّر عنهم.

أول من نظم بلغة محلية هم التروبادور ونظموا باللغة الأوكسيتانية وغيوم التاسع هو أول من نظم بلغة جديدة مخالفة للمعهودة لدى الأوروبيين وكان ذلك منذ بداية القرن الثاني عشر للميلاد، كما يعد أول تروبادور نظم قصيدة في الحب الكورتوازي في أوروبا. هذا النوع الشعري دخيل لم تعرفه أوروبا من قبل لأنّهم لم يتعودوا التوسل للمرأة. نشأة هذا الشعر كانت نتيجة الاحتكاك الأوروبي بالأندلس، وازدهر شعر التروبادور في جنوب فرنسا ثم باقي أوروبا الغربية طوال القرن الثاني عشر للميلاد، غير أنّه بدأ في التراجع والانحطاط نهاية القرن الثالث عشر للميلاد بسبب الحروب الصليبية(2).

13 - تاريخ آداب الشعوب الإسلامية العثمانية:

تأثر الأتراك بلغة الفرس وبأدباء وعلماء العرب، بعد الفتوحات الإسلامية استخدم العثمانيون الحروف العربية في كتاباتهم، وقد قُسم الأدب التركي إلى مراحل ذكرها لنا الدكتور عباسة مفصلة في بحثه، أول تلك المراحل الأدب القديم ثم مرحلة ما بعد الإسلام، تلتها مرحلة الأدب المتأثر بالحضارة الأوروبية وأخيرا أدب عصر الجمهورية. أهم ما ميّز

---

1 – د. محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع17، سبتمبر 2017م، ص 7–28 بتصرف.

2 – د. محمد عباسة: قصيدة الحب في شعر التروبادور البروفنسي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع20، سبتمبر 2020م، ص 9–34 بتصرف.

الأدب التركي في العهد العثماني تنوع ألوان الأدب فنجد:

– الأدب الشعبي: تميز بالأوزان الخفيفة وبلغة بسيطة كتب هذا اللون الأديب الرحالة، هو أدب موجه لعامة الناس مفهوم غير معقّد.

– الأدب الديواني: كتبه المثقفون واختص بالمدارس والقصور، استمد خصائصه من الأدب العربي والفارسي.

– أدب التكايا: هو شعر الحب الإلهي، تطور هذا النوع متأثرا بالإسلام.

وفي مرحلة الإصلاحات تأثر الأدب التركي بنظيره الفرنسي، فبدأ الأدباء بالتخلي عن الألفاظ والحروف العربية والفارسية واستبدالها بالأوروبية.

أهمل الأدب الديواني وتوجه الأدباء للمسرح والرواية، في عصر الجمهورية تخلّى الأتراك عن الأبجدية العربية بسبب دعاة التغريب، وهنا قطعت الصلة بين تركيا الحديثة وتاريخ العثمانيين.

الأدب التركي لا ينحصر في بلاد الأناضول فقط بل امتد إلى مجتمعات آسيوية وأوروبية وحتى عربية[1].

ج – الدعوة إلى بلورة منهج عربي في الأدب المقارن.

1 – الأدب المقارن العربي: عرف الأدب العبي ظاهرة التأثير والتأثر منذ ظهوره لاختلاط العرب بغيرهم، لم يتطرق الباحثين لهذا الموضوع عدا الجاحظ الذي تحدث في "البيان والتبين" عن بلاغة الفرس والروم والهنود، كما أشار إلى خصائص مشتركة بينها وبين بلاغة العرب. غير أنّ مقارنات الجاحظ لم تكن مبنية على منهج كما لم تكن موضوعية بل كانت ذاتية اعتمد فيها على التشابه والاختلاف دون ذكر التأثير والتأثر.

تحدث الجاحظ عن صورة الآخر في "البخلاء" وذكر عيوب الفرس ومزاياهم أيضا، أمّا في كتابه "الحيوان" فتحدث عن الترجمة وموضوعاتها مزاياها وعيوبها، وخلص إلى أنّ

1 – د. محمد عباسة: تاريخ آداب الشعوب الإسلامية العثمانية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 22، سبتمبر 2022م، ص 9–32 بتصرف.

الشعر خاصة يفقد قيمته بالترجمة.

2 – الموازنات عند العرب: أُلّفت كتب في الموازنات بين الشعراء والأدباء، كما كان يعرف الأدب العربي منذ القدم الأسواق الكلامية والمحاكم الأدبية، غير أن تلك الموازنات كانت ذات طابع جمالي، لم تتطرق للتأثير والتأثر أيضا، كما أنّها اقتصرت على أدباء اللّغة العربية دون سواهم.

3 – بداية الدراسات المقارنة عند العرب: بدأت الدراسات العربية المقارنة تظهر للوجود منتصف القرن التاسع عشر للميلاد تبناها دعاة التجديد، دراساتهم غايتها كانت تعريف القارئ العربي بالأدب الغربي ولم يتطرّقوا للتأثير والتأثر، يمكن اعتبار رفاعة الطهطاوي أوّل من تطرق للدراسات المقارنة.

أواخر القرن التاسع عشر للميلاد تناول رواد النهضة الفكرية العرب آداب الغرب وقارنوها بآداب العرب، غير أنّ دراساتهم كانت سطحية لم تخرج عن نطاق الموازنة.

4 – الدراسات المقارنة بداية القرن العشرين: ازدهرت الترجمة في هذه الفترة فاهتم الدارسون بالمقارنة، وأوّل من تناول ظاهرة التأثير والتأثر هو "روحي الخالدي" عام 1904م كما أنّه أول من استخدم مصطلح "علم الأدب" وذلك في كتابه "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب"، معظم الدراسات المقارنة منذ أواخر القرن التاسع عشر للميلاد إلى الثلث الأول من القرن العشرين للميلاد كانت تطبيقية هدفها الاطلاع على ثقافة الغرب. بالنسبة لمصطلح "الأدب المقارن" ظهر عند خليل هنداوي وفخري أبو السعود لأول مرة عام 1936م.

5 – التأليف المنهجي في الأدب المقارن: أول كتابفي الأدب المقارن كان لـ: نجيب العقيقي عام 1948م عنوانه "من الأدب المقارن" لكن هذا الكتاب لم يتناول الأدب المقارن بل كان دراسات نقدية لا أكثر، وفي عام 1949م ظهر كتاب "في الأدب المقارن" لعبد الرزاق حميدة قارن فيه بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميدية الإلهية لدانتي، غير أنّ دراسته تلك تدخل في باب الموازنة.

ظلّت الدراسات العربية سطحية، إلى غاية أن أصدر محمد غنيمي هلال كتابه

"الأدب المقارن" عام 1953م، كتابه ذاك كان نقلا حرفيا لما جاء في كتاب "فان تيجم". وفي ستينيات القرن الماضي بدأت الدراسات الأكاديمية في الوطن العربي، صدرت كتب منهجية مثل: الأدب المقارن لحسن جاد وغيره... وفي السبعينيات ازدهر الأدب المقارن العربي وأصبحت أغلب الجامعات العربية تدرّس مادة الأدب المقارن، من بين الذين برزوا في تلك الفترة نجد حسام الخطيب، ريمون الطحان وغيرهم...

6 – مرحلة النضج والازدهار: في الثمانينات ظهر جيل جديد من المقارنين العرب تناولوا المقارنة الأدبية بطرق أكاديمية مع احترام النسق الأدبي العربي.

تخصص الطلاب في الأدب المقارن وأنجزوا مذكرات وأطارح فيه. هناك من تجاهل المنهج الفرنسي، وهناك من استخدمه لرد الاعتبار للأدب العربي، ومن أبرز مقارني تلك الفترة نجد: الطاهر مكي، داوود سلوم وغيرهم...

– 7الأدب المقارن في الجزائر: الجامعة الجزائرية تأسست فعليا عام 1909م، بالنسبة للأدب المقارن لقد بدأ في العقد الثاني من القرن العشرين، ولم يختلف عن ما كان عليه في فرنسا، الدكتور "محمد بن شنب" يعدّ من أوائل الجزائريين في تلك الفترة الذين انتسبوا للجامعة ودرسوا الأدب بصورة مقارنة.

بعد الاستقلال بالضبط عام 1967م أنشأت كلية الآداب بجامعة الجزائر وبدأت بإصدار مجلة "الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن" التي كانت تصدر باللغة الفرنسية.

بدأ الأدب المقارن يدرس كتخصص باللغة العربية مع بداية السبعينات، ومن هنا بدأ المنهج يتطور من أهم رواده: عز الدين المناصرة، لخضر بن عبد الله، عبد المجيد حنون... وغيرهم. كما لا ننسى د. محمد عباسة موضوع هذا البحث، فقد ساهم بأبحاثه في ازدهار هذا الفرع الأدبي وتطوره[1].

نلاحظ مما سبق، أنّ المقارنين العرب لم يصلوا بعد إلى منهج عربي مقارن واضح

---

1 – د. محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 17 سبتمبر 2017م، ص 7–28 بتصرف.

المعالم، فلا يزال ينتقل بين المناهج الغربية ويختار منها ما يتماشى ودراساته. أيضا الدراسات الحديثة حاولت أن توضح فضل الأدب العربي على غيره من الآداب خاصة الأوروبية، ورغم نجاحهم في ذلك واكتشاف الصلات والأسبقية بين المؤثر العربي والمتأثر الغربي في الكثير من المواطن إلا أنهم اعتمدوا على مناهج الغرب ونوّعوا بين المنهج النقدي والتاريخي.

***

خاتمة

خاتمة

ها أنا أخط آخر سطور بحثي، بحثي الذي مكّنني من التعمق في الأدب المقارن تاريخه ونشأته مفهومه ومناهجه وأهدافه، والأكيد أنّ علما بهذا الوزن لم يكن هدفه المفاضلة بين أدبي قوميتين مختلفتين، بل غايته اسمى من ذلك، جاء من أجل إبراز الجمال الكامن في الآداب وكيف انعكست إشعاعات ذاك الجمال على آداب الغير.

وجد الأدب المقارن من أجل انفتاح الآداب على بعضها البعض وتعريف الشعوب بثقافات مختلفة مما يؤدي لانفتاح الشعوب على بعضها وبالتالي حدوث تبادل يمس كل جوانب الحياة، جاء من أجل تخفيف التّعصب القومي الذي يعزل الأدب عما يدور خارج حدوده جاء من أجل نبذ سياسة تقسيم الآداب حسب موقعها الجغرافي.

بالنسبة للأدب المقارن العربي لا أحد ينكر أنّه كان السباق للدراسات المقارنة وحتى قبل ظهورها في أوروبا بمئات السنين، لكن ما يعاب على المدرسة العربية أنها لم تتخذ لدراساتها ولنفسها منهجا تسير عليه، لذا لا يمكن أن نقول منهج عربي لأنه لم يصل بعد للمستوى الذي وصل إليه لدى الغرب.

معظم الأعمال العربية المقارنة التي ظهرت منذ عصر النهضة كانت عبارة عن ترجمات حرفية إن صح القول لأعمال فرنسية خاصة.

اهتم الدارسون العرب في بداياتهم بالتطبيق بدل التنظير وهدفهم لم يكن المقارنات بل كان تعريف القارئ العربي بآداب الغير، لذا دخلت أعمالهم حيز الموازنات، كما أن الدراسات الحديثة التي اهتمت بالمقارنة ولليوم ما زالت تتبع المناهج الغربية والمنهج التاريخي على وجه الخصوص. ورغم ذلك لا ننكر جهود المحدثين الذين لا يزالون يسعون من أجل إرساء مدرسة عربية مقارنة بعيدة كل البعد عن المدارس الغربية.

***

ملحق

ملحق:

ترجمة عن أهم أعمال الدكتور محمد عبّاسة



محمد عباسة من مواليد عام 1955م بالسور (مستغانم). أستاذ الأدب المقارن بكلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم منذ سنة 1987م.

الرتبة: أستاذ التعليم العالي.

الشهادات المتحصل عليها:

– ليسانس أدب، الشعبة اللغوية، جامعة السانية، وهران (1976م–1980م).

– ماجستير في الأدب المقارن، جامعة بغداد، العراق (1980م–1984م).

– دكتوراه الدولة في الأدب المقارن، جامعة الجزائر العاصمة (1990م–1996م).

شهادات أخرى:

– شهادة تكوين في تعليمية اللغة الفرنسية لغة أجنبية من جامعة غرونبل، فرنسا (1993م).

– شهادة تكوين في اللسانيات من جامعة سارجي بونتواز، باريس، فرنسا (2000م).

المقالات المنشورة:

– نشر مقالات متعددة في مجلات دولية محكمة جزائرية وعربية وأوربية باللغة العربية والفرنسية (الأدب المقارن، الترجمة، الأدب الصوفي، الموشحات والأزجال الأندلسية وشعر التروبادور البروفنسي).

تنظيم الملتقيات الدولية:

– نظم ملتقيات دولية بجامعة مستغانم، تتمحور في الغالب حول التراث الروحي والأدب الديني والمثاقفة، اللغة والغيرية.

– شارك في ملتقيات دولية في الترجمة والأدب المقارن بجامعة مستغانم وجامعات أخرى. المشاركة في دورات تدريبية خارج الوطن[1].

1 – ينظر، https://abbassa.wordpress.com/cv2/

النشاطات العلمية والبيداغوجية:

– الإشراف على رسائل الدكتوراه والماجستير بجامعة مستغانم وجامعات الغرب الجزائري.

– عضو اللجنة التربوية الوطنية للغة الفرنسية من 1988م إلى 1998م.

– عضو اللجنة التربوية الوطنية للغة العربية من سنة 2002م إلى سنة 2006م.

– رئيس اللجنة العلمية لقسم اللغة العربية من سنة 2000م إلى سنة 2006م.

– رئيس المجلس العلمي لكلية الآداب والفنون من سنة 2001م إلى سنة 2007م.

– مدير مجلة "حوليات التراث" دورية ثلاثية اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، ورقية والكترونية.

النشاطات الإدارية:

– رئيس قسم اللغات الأجنبية من سنة 1988م إلى سنة 1993م.

– مدير معهد اللغات الأجنبية من سنة 1993م إلى سنة 1998م.

– مدير مركز التعليم المكثف للغات من سنة 1988م إلى سنة 1998م[1].

***

1 – نفسه.

قائمة
المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

الكتب:

1 – إبراهيم، خليل: في النقد والنقد الألسني، منشورات أمانة، ط1 عمّان 2002م.

2 – ابن رشد: فصل المقال، دار المعارف، ط1، مصر 1972م.

3 – أبو زيد، نصر حامد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م.

4 – البديري، علي مجيد داود: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة 2009م.

5 – الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر 1965م.

6 – الحلبي، قسطاكي الحمصي: منهل الورّاد في علم الانتقاد، مطبعة العصر الجديد، حلب 1935م.

7 – الخطيب، حسام: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، دار الفكر، ط2، دمشق 1999م.

8 – الساداتي، أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية والباكستانية وحضارتها، دار النهضة الشرق، القاهرة 2001م.

9 – السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، القاهرة 1974م.

10 – الشيرازي: أريج البستان، ترجمة الدكتور أمين بدوي، دار الشروق، ط2، القاهرة 2006م.

11 – الطهطاوي، رفاعة رافع: تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز، سلسلة الأنيس، الجزائر 1991م.

12 – المسعودي، أبو الحسن: مُروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت.

13 – المناصرة، عز الدين: المثاقفة والنقد المقارن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت 1996م.

14 – المناصرة، عز الدين: علم التناص والتلاص، دار مجدلاوي، ط1، عمّان 2006م.

15 – المناصرة، عز الدين: مقدمة في نظرية المقارنة، دار الكرمل، ط1، الأردن 1988م.

16 – الوكيل، سعيد: الأدب المقارن مخل نظري ونماذج تطبيقية، محاضرات كلية الأدب، جامعة القاهرة 2000م.

17 – باجو، دانيال هنري: الأدب العام المقارن، ترجمة الدكتور غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1971م.

18 – باسنيت، سوزان: الأدب المقارن، ترجمة أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة 1999م.

19 – برونيل، بيير وكلود بيشوا وأندريه روسو: ما الأدب المقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات دار علاء الدين، ط1، دمشق 1996م.

20 – بكّار، يوسف: الأدب المقارن، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، عمّان 2004م.

21 – بيشوا، كلود وأندريه روسو: الأدب المقارن، ترجمة أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، القاهرة 2001م.

22 – جيرمونسكي، فيكتور ميكسيموفيتش: علم الأدب المقارن شرق وغرب، ترجمة غسان مرتضى، ط1، حمص، سوريا 2004م.

23 – درويش، أحمد: نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الوطن العربي، دار غريب، القاهرة 2002م.

24 – دي لاسي، أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، بيروت 1955م.

25 – رضوان، أحمد شوقي عبد الجواد: مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن، دار العلوم العربية، ط1، بيروت 1990م.

26 – شعيب، محمد عبد الرحمن: الأدب المقارن، مطبعة دار التأليف، القاهرة 1968م.

27 – عباسة، محمد: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب، ط1، مستغانم، الجزائر 2012م.

28 – عبود، عبده: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق 1999م.

29 – عقيلان، عبد الكريم عبد القادر: دراسات أدبية ونقدية، دار جليس الزمان، عَمّان 2019م.

30 – علوش، سعيد: مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987م.

31 – غويار، ماريوس فرنسوا: الأدب المقارن، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، ط2، بيروت–باريس 1977م.

32 – مكي، الطاهر أحمد: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعرفة، ط1، القاهرة 1987م.

33 – ميلي، ألدوا: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، دار القلم، القاهرة 1962م.

34 – هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، ط5، بيروت.

35 – ويليك، رينيه وأوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1987م.

36 – ياوس، هانز: جمالية التلقي، ترجمة رشيد بنجدو، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2003م.

المقالات:

1 – الحامد، ثامر بن سليمان: تأثر الأدب العربي بالآداب الأخرى، مجلة قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1433هـ.

2 – الشرتوني، سعيد الخوري: البيان العربي والبيان الإفرنجي، مجلة المقتطف، مجلد 27،

الجزء 4، أبريل 1902م.

3 – بيلا، شارل بيكو: الجاحظ والأدب المقارن، ترجمة محمد وليد حافظ، الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998م، ع96.

4 – ثابت، خليل: بلاغة العرب والإفرنج، مجلة المقتطف، مجلد 24، ج1، يناير 1900م.

5 – جلولي، العيد وعبد القادر خليف: القراءة والتأويل من منظور اصطلاحي، مجلة الأثر الدولية، ع28، جوان 2017م.

6 – حمدي، حسين كريم: أثر علماء الهند في المعارف والعلوم في العالم الإسلامي، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق، ع27، ديسمبر 2019م.

7 – دحماني، نادية وسالم سعدون: جذور الأدب المقارن في كتابات الجاحظ، مجلة المعارف، جامعة البويرة، مجلد 17.

8 – رماش، عائشة: فكرة المقارنة وتطورها عند العرب، مجلة التواصل في اللّغات والآداب، جامعة عنابة، ع37، 2014م.

9 – عباسة، محمد: الترجمة في العصور الوسطى، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع5، مارس 2006م.

10 – عباسة، محمد: التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير، مجلة التراث العربي، سورية، عدد 102، دمشق، نيسان 2006م.

11 – عباسة، محمد: التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع10، سبتمبر 2010م.

11 – عباسة، محمد: الحروب الصليبية ونزعة الحب الكورتوازي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع12، سبتمبر 2012م.

13 – عباسة، محمد: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع3، مارس 2005م.

14 – عباسة، محمد: العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى، مجلة

حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع13، سبتمبر 2013م.

15 – عباسة، محمد: الفلسفة العقلانية عند ابن رشد، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع11، سبتمبر 2011م.

16 – عباسة، محمد: اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع9، سبتمبر 2009م.

17 – عباسة، محمد: المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 17 سبتمبر 2017م.

18 – عباسة، محمد: تاريخ آداب الشعوب الإسلامية العثمانية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 22، سبتمبر 2022م.

19 – عباسة، محمد: ترجمة المعارف العربية وأثرها في الحضارة الغربية، مجلة الآداب، عدد6/5، بيروت 1999م.

20 – عباسة، محمد: حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع4، سبتمبر 2005م.

21 – عباسة، محمد: قصيدة الحب في شعر التروبادور البروفنسي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع20، سبتمبر 2020م.

22 – عباسة، محمد: مصادر شعر التروبادور الغنائي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع14، سبتمبر 2014م.

23 – عباسة، محمد: نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع1، جوان 2004م.

24 – غوادره، فيصل حسن: ما بين الأدب العربي والفارسي حول قصة ليلى والمجنون، مركز جنين الدراسي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع9، 2007م.

25 – غيلان، حيدر محمود: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية، مجلة دراسات يمنية، العدد 80، مركز دراسات البحوث اليمني، مارس 2006م.

26 – فضل الله، سيد وحسين كياني: نظرية التلقي في ضوء الأدب المقارن، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، ع18، 2011م.

27 – كبير، زهيرة: ترجمة العرب للنصوص الفلسفية اليونانية، مجلة منيرفا، مجلد4، ع2، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2018م.

28 – متولي، محمد سيد أحمد: اللغويات والثقافات المقارنة، مجلة كلّية الآداب، جامعة الفيوم، مصر، مجلد 13، العدد 1، يناير 2021م.

29 – مزهود، فاطمة: الترجمة في العصر العباسي، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الجزائر 1، ع1، 2013م.

مراجع باللغة الأجنبية:

1 – Khrapchenko, M. and Y. Boyarsky: Writer's Creative Individuality and the Development of Literature, Progress publishers, Moscow 1997.

2 – Mohammed Abbassa : Bilinguisme et traduction en Espagne musulmane, in Atelier de Traduction, N° 3, Université de Suceava, Romanie 2005.

3 – Mohammed Abbassa : Les sources de l’amour courtois des Troubadours, in Revue Annales du Patrimoine, N° 8, Université de Mostaganem, Algérie 2008.

4 – Mohammed Abbassa : Traduction des connaissances arabes, in Comparaison, N° 13, Université d’Athènes, Grèce 2002.

مواقع إلكترونية:

1 – https://abbassa.wordpress.com

2 – https://annalesdupatrimoine.wordpress.com

***

فهرس المحتويات

الفهرس

***

الملخصات

الملخّص:

الأدب المقارن وليد المدرسة الفرنسية وابنها المدلل، وظل على تلك الحال لسنوات طوال دون أن ينازعها فيه أحد إلى أن ظهرت المدرسة الأمريكية والتي مهدت لميلادها بأزمة غيّرت أسس الأدب المقارن ومناهجه وعُرفت تلك الأزمة بأزمة الأدب المقارن. لم تكتف المدرسة الأمريكية بالأزمة فحسب بل نقدت كل مبادئ المدرسة الفرنسية وأسسها التاريخية لذا عرفت بالمنهج النقدي. توالت بعد ذلك المناهج بالظهور فظهرت المدرسة السلافية، والمدرسة الألمانية، ولكل من تلك المدارس وجهة نظر مغايرة لما سبقها، أيضا وفي الجانب الآخر نجد المدرسة العربية والتي كانت سباقة لغيرها من المدارس فالجاحظ درس آداب الأمم الكبرى قبل مئات السنين من فرنسا، ورواد النهضة تناولوا دراسة الآداب المختلفة قبل المدرسة الأمريكية، لكن ما يعاب على القدماء وأصحاب النهضة والمحدثين أنهم لم يأسسوا منهجا لدراساتهم كما فعلت بقيّة المدارس. وكل ما درسوه كان إمّا موازنات وإمّا ترجمات لا غير وذلك بسبب أنّهم اهتموا بالتطبيق دون التنظير. منذ ثمانينات القرن الماضي بدأت الدراسات تكون منهجية ومقارنة لكن دون منهج عربي ثابت بل معتمدين على المناهج الغربية، ورغم ذلك ما تزال المدرسة العربية لليوم تحاول أن تأسس منهجها بعيدا عن كل ما سبقها من مناهج.

الكلمات المفتاحية:

الأدب المقارن، مدارس الأدب المقارن، المدرسة العربية، الدكتور محمد عباسة.

***

Résumé :

La littérature comparée est le rejeton de l'école française et son enfant gâté, et elle est restée dans cet état pendant de nombreuses années sans être contestée par personne jusqu'à l'émergence de l'école américaine, qui a ouvert la voie à sa naissance avec une crise qui a changé les fondements et des

programmes de littérature comparée, et cette crise était connue sous le nom de crise de la littérature comparée. L'école américaine ne se contentait pas seulement de la crise, mais critiquait aussi tous les principes et fondements historiques de l'école française, on l'appelait alors l'approche critique. Après cela, les programmes ont continué à apparaître, et l'école slave et l'école allemande sont apparues, et chacune de ces écoles a un point de vue différent de ce qui l'a précédée. Le précurseur d'autres écoles. Al-Jahiz a étudié la littérature des grandes nations il y a des centaines d'années depuis la France, et les pionniers de la Renaissance Ils ont étudié différentes littératures avant l'école américaine, mais ce qui ne va pas avec les anciens, les propriétaires de la Renaissance, et les modernistes, c'est qu'ils n'ont pas établi de programme pour leurs études, comme l'ont fait le reste des écoles. Et tout ce qu'ils étudiaient, c'était soit des balances, soit des traductions et rien d'autre, parce qu'ils se souciaient de l'application sans théoriser. Depuis les années quatre-vingt du siècle dernier, les études ont commencé à être systématiques et comparatives, mais sans programme arabe fixe, elles se sont plutôt appuyées sur les programmes occidentaux. Malgré cela, l'école arabe essaie encore aujourd'hui d'établir son programme en dehors de tous les programmes précédents.

Mots-clés :

Littérature comparée, écoles de littérature comparée, l'école Arabe, Dr Mohammad Abbassa.

***

Summary:

Comparative literature is the offspring of the French school and its spoiled child, and it remained in that state for many years without being

contested by anyone until the emergence of the American school, which paved the way for its birth with a crisis that changed the foundations and curricula of comparative literature, and that crisis was known as the crisis of comparative literature. The American school was not satisfied with the crisis only, but also criticized all the principles and historical foundations of the French school, so it was known as the critical approach. After that, the curricula continued to appear, and the Slavic school and the German school appeared, and each of these schools has a different point of view than what preceded it. Also, on the other side, we find the Arab school, which was the forerunner of other schools. Al-Jahiz studied the literature of the great nations hundreds of years ago from France, and the pioneers of the Renaissance They studied different literatures before the American school, but what is wrong with the ancients, the owners of the Renaissance, and the modernists is that they did not establish a curriculum for their studies, as did the rest of the schools. And everything they studied was either balances or translations and nothing else, because they cared about application without theorizing. Since the eighties of the last century, studies began to be systematic and comparative, but without a fixed Arabic curriculum, rather they relied on Western curricula. Despite this, the Arab school today is still trying to establish its curriculum away from all the previous curricula.

Keywords:

comparative literature, schools of comparative literature, Arab school, Dr Mohammad Abbassa.

***